372

HARLEQUIN

روايات أحلام

هروب إلى ناره

ميلاني ميلبورن

www.elromancia.com
مرمورية

هروب إلى ناره

لم تتوقع ياسمين أن تستيقظ صبيحة زفاف أختها ، لتجد بقربها كونور هارو سميث ، اشبين العريس !
بدا الأمر كأنها ارتكبت غلطة شنيعة مع أنه لم يحصل بينهما شيء... وما إن خرجت من غرفة كونور في الفندق حتى واجهتها عدسات التصوير والصحفيون ... وكانت الفضيحة !
أصر كونور على أن يتزوجا ، وأدركت ياسمين بأنها ستخسر سمعتها وعائلتها إذا لم توافق على هذا الزواج.
لكن كونور كان يفكر بأبعد من زواج شكلي...

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 9953-15-326-4

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The australian's marriage demand
First published in Great Britain 2004
Harlequin Mills & Boon Limited
© *Melanie Milburne 2004*
Translation © Dar El-Farasha - 2005
ISBN 9953 - 15 - 326 - 4

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر رعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

الابنة الضالة

لم يكن النهار قد طلع بعد عندما استيقظت ياسمين في سريرها في الفندق. فتحت عينيها المثقلتين بالنعاس وتساءلت ما الذي أيقظها. لابدّ أن أحد المدعوين إلى الزفاف عائد الآن من سهرته، فكرّت بذلك وهي تتمطى في السرير.

كان حفل الزفاف جيداً؛ بدت أختها سام جميلة وسعيدة، أما فيني، زوج سام، فكان يمشي مزهوّاً فرحاً، أمضى النهار بطوله يوزّع الابتسامات على من حوله.

كمّا أطلّ والدها مزهوّاً من على مذبح كاتدرائية سيدني. بدا مسروراً لأنه حظي بفرصة تزويج ابنة أخرى من بناته الأربع، فيما دمعت عينا والدتها أكثر من مرة وهي تلعب دور أم العروس بإتقان.

لكن لسوء الحظ، اضطر كونور هاروسميث شقيق فيني من أبيه إلى القيام بدور الإشبين، والغريب في الأمر أنه قد أحسن التصرّف، فأنجز مهامه بشكل صحيح، وقدّم المحابس في الوقت المناسب، حتى إنه مدح وصيفات العروس الثلاث من دون أن يبدي أية ملاحظة ساخرة. وعندما التقت عيناه البنيان بعينيها، ابتسمت له برقّة، وقد عقدت العزم على عدم السماح لشيء أو لأحد بأن يفسد على أختها يوم زفافها.

إنها تكرهه، وهو يعرف هذا تمام المعرفة.

أدركت ياسمين هذا من البريق الحاد الذي كان يلتمع في عينيه كلما نظر إليها، أثناء حفل الزفاف وأثناء حفل الاستقبال. كأنه يغيظها بنظراته

ويقول لها: اشبينة لثلاث مرّات؛ اشبينة فقط ولست العروس.

مدّت ياسمين رجلها وتسمّرت في مكانها؛ هناك من ينام بقربها!!

أرادت أن تنير المصباح، لكنها خشيت أن توقظ الشخص الذي ينام قربها، فابتعدت حتى حافة السرير. بالرغم من ابتعادها، ظلّت تشعر بدفء الجسم المستلقي بجانبها، دفء بدا وكأنه يدعوها للعودة إلى وسط السرير.

كان الظلام يخيم على الغرفة. وسمعت صوت تنفس، ثم شعرت بحركة على السرير فيما مدّ الغريب يده يتلمّس وجودها بقربه...

مدت يدها نحو المصباح بجانب السرير وأضاءته، فشعرت بألم في عينيها لوهج الضوء في الغرفة المظلمة.

صرخت: «آه، يا إلهي! أنت!».

حدقت مرتعبة عندما رأت كونور هاروسميث، ونظرت إلى جسمه المعضّل الطويل تحت ملاءات السرير.

قال: «مرحباً ياسمين، هل نمتِ جيداً؟».

أطلقت شتيمة خافتة وهي تتناول الرداء الخاص بالفندق لتغطي جسمها، فهي لن تسمح له بالنظر إليها.

- أخرج من غرفتي!

رفع كونور حاجبه وهو يستدير نحوها ليواجهها، وقد انزلقت الملاءة عن جسمه لتكشف عن صدره الصلب المليء بالعضلات، وقال: «غرفتك؟».

- طبعاً غرفتي! والآن أخرج من هنا قبل أن أنادي على رجال الأمن.

وحولّت نظرها إلى حيث توقعت رؤية حقيبتها، ولكن يالهول الصدمة، لم تجد ما تبحث عنه.

حدقت إليه قائلة: «أين أغراضي؟».

- في غرفتكِ.

وانزلقت الملاءة أكثر لتكشف عن جسمه القوي. أشاحت ياسمين بنظرها بعيداً، واتجهت بسرعة نحو الحمام. فتحت الباب، فلم تجد أثراً لمستحضرات التجميل والكريمات التي وضعتها على المنضدة عصر هذا اليوم، بل وجدت آلة حلاقة وقنينة عطر لما بعد الحلاقة وفرشاة شعر كما رأت أيضاً منشفة رطبة...

هرعت نحو غرفة النوم، وازدادت حدّة غضبها لرؤيته يجلس متكاسلاً على السرير، ونظره يجول ببطء عليها.

اتهمته وهي تتجه نحو السرير لتتناول الهاتف: «أنت أخذت أغراضي، سأتصل بالاستعلامات وأطلب إرسال أحدهم إلى هنا..».

لامست يد قوية خصرها، برقة وحزم في الوقت عينه. حذّرها وهو ينظر مباشرة إلى عينيها: «ما كنت لأفعل هذا لو كنت مكانك!».

- دعني!

- ستبدين سخيفة للغاية إن اشتكيت لإدارة الفندق في حين أنكِ أنت من أخطأت في الغرفة.

قالت بإصرار: «لم أخطىء في الغرفة، لقد استعملت مفتاحي لدخول الغرفة ليلة أمس».

- لم يكن الباب مقفلاً. لقد تركت حفل الاستقبال، وجئت إلى غرفتي كي أحضر غرضاً لفيني، ونسيت إقفال الباب خلفي.

- لا أصدق كلامك.

هزّ كتفيه وأفلت خصرها، فابتعدت عنه رغبة منها بإبعاد الشعور الدافىء الذي يتملكها جرّاء لمسته.

قال لها بنبرة متحدّية: «اذهبي، وتأكدي بنفسكِ. افتحي الباب وانظري إلى رقم الغرفة».

توجهت ياسمين نحو الباب بثقة، إلاّ أن ثقتها هذه بدأت تتلاشى تدريجياً. ماذا لو كان محقاً؟ ماذا لو كانت قد أخطأت في الغرفة؟ ماذا

www.elromancia.com

ستفعل عندها؟ فتحت الباب، وانقبض قلبها حين قرأت رقم الغرفة. إنها ليست في غرفتها! وليست أي غرفة، بل غرفة كونور هاروسميث!

قالت وهي تعود إلى الداخل: «حسناً، لقد اقترفت خطأ، لكن هذا لا يفسّر سبب نومك في السرير نفسه وامتناعك عن تصويب خطئي!».

- لم أود إيقاظك!

- آه! بحق السماء! لا يحق لك أبداً استغلال الوضع!

- وكيف عرفتِ أنني استغليت الوضع؟

ورماها بنظرة ثابتة كما لو أنه يكشف عن أدقّ تفاصيل جسمها.

عجزت ياسمين عن التفكير بطريقة سويّة. كيف عساها أن تعرف ما جرى في المساء؟ أتراه عانقها وهي تغطّ في النوم؟ من يدري...؟

وقطع حبل أفكارها حين قال: «أنت تشخرين، أتعرفين هذا؟».

- لا! لا أشخر.

لمعت عيناه وهو ينظر إلى ملامحها الغاضبة؛ شعرها البني غير مسّرح وعيناها الزرقاوان المائلتان إلى اللون الرمادي اللتان تستعران غضباً، وتذكّر الفستان الأزرق الذي ارتدته في حفل الزفاف. لم يسبق له أن رآها بهذا الجمال.

- هيا ياسمين، هدئي من روعكِ، فأنتِ بأمان معي!

- لا أحد على وجه الكرة الأرضية يشعر بالأمان إذا كان بقربك!

ضحك كونور وأزاح عنه الملاءة. فصاحت: «ماذا تفعل؟».

- أنهض من السرير.

أشاحت بنظرها كي لا تنظر إليه. شعرت بأنفاسها تتقطّع وبوجنتيها تحمران، وبأعصابها تزداد توتراً.

- بحقّ السماء! ارتدِ ثياباً لائقة!

- إنك تلبسين الرداء الخاص بي.

فكرّت بأن تعيده إليه. لكنها استدركت قائلة: «لا أملك شيئاً

أرتديه!».

- شكوى النساء الدائمة!

سمعت صوت قماش، فنظرت بطرف عينها لترى الفستان الذي كانت ترتديه إلى حفل الزفاف يطير باتجاهها.

قال: «ارتدي هذا وأنا سأدير ظهري».

إنها لا تصدق كلمة تخرج من فم هذا الرجل، ولكنها لا تتحلى بالشجاعة الكافية لتدير وجهها وتتحقّق بنفسها. ارتدت الفستان الأزرق، وما إن انتهت حتى رمت الرداء باتجاهه من دون أن تنظر.

- يمكنكِ أن تستديري الآن.

استدارت ببطء والتقت عيونهما. شعرت بالارتياح لرؤيته وقد لبس الرداء، لكن شعوراً غريباً اجتاحها فمنذ لحظات كان هذا القماش الأبيض الناعم يغطيها، والآن، ها هو يلامس بشرته.

قالت وهي تتجه نحو الباب وتوشك أن تتعثّر: «عليّ أن أذهب»

- مهلكِ، ألم تنسي شيئاً؟

- ماذا؟

ونظرت نحوه، فرأته يحمل في إصبع واحد فردة حذائها.

- آه، شكراً لك.

تقدمت منه لتأخذ حذاءها، فأمسك يدها بيده، وحدّقت عيناه البنيتان إلى عينيها.

- لقد استمتعت بالنوم معكِ.

وراح يمرّر إصبعه على عنقها بخفة، فانقبضت معدتها بشكل لم تعهده سابقاً، ووجدت صعوبة في النظر إليه. إلاّ أنها بذلت جهداً لتسيطر على أعصابها وقالت: «آمل أنني لم أسبب لك الإزعاج».

- بلى، لقد أزعجتني. أزعجتني كثيراً في الواقع.

كانت قريبة جداً منه، وشعرت بضعفها مقابل قوته. فقالت متوسّلة:

«أفلتني أرجوك!».

- لم تقولي هذا ليلة أمس!

اتسعت عيناها، وسألته «ماذا تعني؟».

- لم يبدُ عليك الانزعاج مطلقاً لقربي منك.

شعرت ياسمين بالخجل. آه يا إلهي، هل رمت بنفسها عليه؟ لا! لا يعقل. إنها واثقة من هذا.

- لا أصدقك!

- ثقي بي ولو قليلاً.

- أنت تروي الأكاذيب لتضحك مني!

- ولِمَ عساي أفعل هذا؟

- لأنك وغد مغرور يظنّ بأن كل فتاة ترغب بالارتماء بين أحضانه.

- هذا تحليل مثير للاهتمام لشخصيتي، ولكنه ليس صحيحاً تماماً.

نظرت إليه بسخرية: «أحقاً؟».

- لابدّ أنكِ تقرأين الكثير من المجلات. ألا تعلمين أنهم يؤلفون الأخبار لإثارة القرّاء.

- أخبارك كلها منشورة في الصحف، فأنت تتعمّد إقامة علاقات مع الفتيات الرخيصات كي تُنشر أخبارك، وتثير سخط زوج والدتك.

قست نظراته واشتدت قبضة يده على يدها، قال: «لمجرّد أن شقيقتك قد تمكنّت من الإيقاع بأخي، لا يعني بأنه يحقّ لكِ التعليق على شؤوني العائلية».

ابتعدت وهي تقول بنبرة دفاعية: «أستطيع قول ما يحلو لي».

- إذن، عليكِ دفع الثمن!

وأحنى رأسه ليضمها بسرعة إلى ذراعيه في عناق مباغت.

فكرت ياسمين أن عليها أن تقاومه، لكن جسمها أبى الاصغاء إلى صوت المنطق. خيّل إليها أن جسمها يتصرّف بشكل مستقلّ تماماً عن

عقلها، وبأنه يتصرّف بحرية وكأنه يتوق إلى هذا العناق.

استمر عناقه وقتاً طويلاً، وفقدت ياسمين الاحساس بقدميها وجسمها، وغرقت في عناقه، كما لو أنها وجدت ضالتها بعد طول غياب.

بعد قليل رفع كونور رأسه، وفتحت هي عينيها وقالت: «لم يكن يجدر بك أن تفعل هذا!».

لمعت عيناه بتحدٍ، وقال: «ولا أنتِ».

- أنا لم أفعل شيئاً!

- بلى، فعلتِ. لقد بادلتني العناق!

لم تجد كلمات تدافع بها عن نفسها، فقالت متأتئة: «لقد فاجأتني.. لم أعرف كيف أتصرف».

- يجدر بي أن أذكر هذا دوماً، فهو كلام مفيد.

ابتعدت عنه، واتجهت نحو الباب، غير آبهة لحذائها الذي ظل بحوزته. فتحت باب الغرفة، ولم تكد تخطو خطوة نحو الخارج حتى أعماها وميض ضوء آلة التصوير.

- ما الذي....

أخفت وجهها بيديها. ولكن آلة التصوير التقطت لها عدة صور أخرى. دفعت المصوّر الفضولي، وهرعت مسرعة إلى غرفتها. فتحت الباب بأصابعها المرتجفة، وأغلقته بقوة وراءها.

أخذت نفساً عميقاً وهي تستند إلى الباب وتحاول تهدئة أعصابها. تباً له! كيف تجرّأ أن يسخر منها؟ لابدّ أنه دبّر الأمر، واستدعى الصحافي ليتنظر خروجها من الباب، فيحقق السبق الصحفي الخاص بهذا الأسبوع. أطلقت أنيناً يائساً لمجرّد التفكير بردّة فعل والدها عندما يقرأ في الصحف عن تصرّف ابنته، وبموقف أمّها عندما ستضطر إلى مواجهة النساء في اجتماع الثلاثاء، بعد أن يكون الجميع قد قرأ عن مآثر ابنتها في

الصحف. أما شقيقاتها الثلاث فسوف يشعرن بالسخط منها، ويبحثن عن الدعم من قبل أزواجهنّ لمواجهة تصرف مشين آخر من تصرفات أختهنّ.

أجبرت نفسها على الابتعاد عن الباب، وبدأت بتوضيب أغراضها. لم تكلف نفسها عناء طي الثياب، بل رمتها في الحقيبة كما لو أنها تقذف بأشلاء كونور هاروسميث.

لطالما ضايقتها طريقته بالسخرية منها. خلال الفترة التي واعدت فيها أختها فيني وأثناء خطوبتهما، اضطرت إلى تحمّل سخافته. عرفت أنها هدف سهل المنال نظراً لسمعتها السيئة، ولكنها كرهت مدى تشبّثه بهذا الأمر. فقد تمّ زجّ اسمها في عدد من العلاقات الغرامية، ما سبب الإحراج لعائلتها الرفيعة الشأن مراراً وتكراراً.

رمت مستحضرات التجميل في كيس بلاستيكي، وهي تفكر أن شقيقاتها خرجن برفقة شبان قبل أن يتزوّجن، ولكنّ أحداً لم يشتكي من هذا الأمر، لا سيما والديها. أما هي، فلم تستطع يوماً إرضاءهما.

كلّ ما تفعله يتعارض مع مفهوم الأسرة للصواب والخطأ. وبالطبع لم يساعد عملها في عيادة لمعالجة الإدمان في سيدني على تصحيح صورتها، لكنها غير مستعدّة للتخلّي عن هذا الأمر لأي سبب من الأسباب.

لقد حاولت جاهدة التأقلم مع مفاهيم الأسرة، لكن من دون جدوى. فقد عجزت عن أداء دورها وهي الابنة البكر للمطران باپرن. ولم تقنع بارتداء ملابسها والجلوس في الصف الأمامي للكنيسة، مصغية بإمعان إلى عظة والدها الوقور.

في الواقع، لقد جلست ياسمين بانزعاج لفترة طويلة على مقعد الكنيسة. كانت تكره صوت الموسيقى الكنسية، ومحاولة النساء مضاهاة بعضهنّ البعض في الأناقة صباح كل أحد. كرهت ردات فعل أساتذة التعليم المسيحي على أسئلتها، وتهامسهم حول تمرّدها الواضح.

غادرت الكاتدرائية وهي في السادسة عشرة من عمرها، ولم تنظر إلى الوراء مجدداً إلاّ بغضب. وسبب غضبها هو أن والديها نبذاها بالرغم من إيمانهما بالمحبة والمسامحة.

لم تكن ياسمين قد رأت صحيفة الاثنين بعد عندما اتصلت بها أختها الوسطى. صاحت كايتلين: «كيف استطعتِ فعل هذا؟».

تصلّبت ياسمين وهي تستعدّ لهذا الهجوم، وتابعت أختها تقول: «بعد كل ما جعلتنا نمرّ به، تفعلين هذا؟ كما لو أن علاقتك بروي هولدن لم تكفِ!».

-لم أكن على علاقة به!

- كيف استطعت إقامة علاقة مع كونور هاروسميث؟ كيف استطعت فعل هذا؟ أنت تعرفين حقيقته، ألم تسمعي فيني يخبرنا عن مغامراته العاطفية؟».

- أنا لم أقم علاقة معه.

- لقد اتصل رئيس الأساقفة هذا الصباح بوالدي، وأمي تعاني من آلام حادة في الرأس. وهذا كله بسببك!

تركت ياسمين أختها تتكلّم، إذ لا جدوى من الدفاع عن نفسها. لن يصدّقها أحد، حتى ولو حاولت التفسير. وازداد غضبها من كونور أكثر فأكثر.

تابعت كايتلين: «آمل فقط ألاّ يقرأ فيني وسامتا هذا الخبر، وإلاّ أفسد شهر عسلهما تماماً بسبب تصرّفك المتهوّر الغبي».

لقد سمعت ياسمين ما يكفي، فقالت: «إن كان فيني وسام يقرآن الصحيفة في اليوم الثاني من شهر عسلهما، فذلك يعني أن فيني لا يعدّ رجلاً».

- ألا تخجلين؟ أنتِ عديمة الحياء فعلاً. على الأقل يملك فيني بعض الأخلاق والمثل العليا. على العكس من شقيقه، ذلك المتمرّد، الصعب

المراس.

يا للغرابة! شعرت ياسمين بضرورة الدفاع عن كونور، فقالت: «أنتِ بالكاد تعرفين الرجل، ليس من العدل أن تحكمي عليه!».

- بالكاد أعرفه؟ الجميع يعرفونه. فكل خطوة يخطوها تتحدث عنها كافة الصحف. إنه زير النساء الأشهر في سيدني، وقد ظهرت صورتك في الصحيفة وأنت تخرجين شبه عارية من غرفته صبيحة يوم زفاف أختك.

ردّت ياسمين بهدوء يفوق بأشواط ما تشعر به من سخط: «لم أكن شبه عارية. كلّ ما في الأمر هو أنني لم أكن أرتدي حذائي».

- وأين كان حذاءك؟ تحت سرير كونور؟

- نعم، كان بحوزته.

- لا أصدّق أنك تتصرفين بهذه البرودة!

- لا أتصرّف ببرودة.

- حسناً، ستتوقفين عن التصرّف ببرودة عندما تسمعين ما قاله والدي.

- ماذا قال؟

- إنه يستشيط غيظاً، وهو يهدّد بمقاضاة كونور، ما لم يفعل شيئاً لتصحيح الوضع والحدّ من الفضيحة.

- هذه ليست بفضيحة. . . .

- ربّما تودين أن تتذكري بأن والدنا رجل دين. وبالنسبة لرجال الدين، هذه فضيحة بكلّ ما للكلمة من معنى!

- أظن بأن الفضيحة الأكبر هي عندما يقحم الناس أنوفهم في أمور لا تعنيهم. والآن عليّ الذهاب إلى العمل، فإلى اللقاء!

أقفلت سماعة الهاتف وهي تطلق شتيمة. تباً له! الذنب كلّه ذنبه!

رنّ الهاتف مجدّداً، فحدّقت إليه للحظات طويلة قبل أن ترفع السماعة. آخر ما تودّ سماعه الآن هو لوم أو عتاب من إحدى شقيقاتها أو

من والدتها، أو حتى عظة عن الأخلاق من والدها.

قالت بسرعة: «إن كنت تنوي لومي، فأقفل الخطّ الآن!».

سمعت صوت كونور هاروسميث: «لا أتصل كي ألومك».

سألته: «أظنك اطلعت على صحف هذا الصباح. أليس كذلك؟».

- وأنتِ؟

- لا، ليس بعد. ولكن أُبلغت بمحتواها. يبدو أنني ضحية فضيحة أخرى، وأنتَ شريكي في الجريمة.

ضحك كونور، ثم قال: «يا لكِ من فتاة مسكينة!».

- الأمر غير مضحك! كلّ ما جرى من صنعكَ!

- أتحمل المسؤولية كاملة.

عبست قائلة: «ماذا تقصد؟».

- تماماً كما قلت، إنها غلطتي

لم يبدُ عليه الندم، بل على العكس، فهو فخور لتسببه بهذه الفضيحة وإثارة هذا القدر من الجلبة حولها.

- والدي مغتاظ للغاية.

- وزوج والدتي أيضاً.

- ووالدتي تعاني من صداع حاد.

- الأمر طبيعي، كونها مضطرة للاصغاء إلى عظات والدكِ بشكل دائم.

فتحت فمها لتجيب مدافعة، ولكنها عدلت عن ذلك، ثم قالت: «ولن تتحدّث إليّ أخواتي بعد اليوم».

- وماذا في ذلك؟ متى كانت المرة الأخيرة التي استمعن فيها إلى كلامك وأصغين إليكِ؟

شعرت بالكره نحوه لأنه محق في ما يقوله. وبالرغم من ذلك أرادت الدفاع عن عائلتها، فأردفت: «عائلتي غاية في الأهمية بالنسبة لي!».

- يا لروعتكِ!
- أنت تسخر مني.
- لا، أنا في صفّك في كلّ هذه المعمعة.
- لا أصدّقك.
- فهمتُ الآن لِمَ يعاني والدك من مشكلة معك، فعدم ثقتك بالآخرين أمر مثير للشفقة حقاً.
- ها قد عدت تسخر مني.
راح يضحك قبل أن يرد قائلاً: «لعلني أسخر من الحياة بشكل عام، لذا، لا تأخذي الأمر على محمل شخصي؟
- أيهدّدك زوج والدتك بحرمانك من الميراث؟.
- ولِمَ عساه يفعل هذا؟ فأنا لم أقترف أي خطأ!
- يظن الجميع أنك أقمت علاقة معي. وبما أنني ابنة مطران، فذلك يعتبر خطيئة غير مستحبّة.
- ولكنكِ لست فتاة ساذجة أليس كذلك؟
لم تعرف ياسمين بِمَا تجيب. لقد تداولت الصحف أخبار علاقتها بروي هولدن، ومن المستحيل ألا يكون كونور على علم بهذا.
- بحسب الرأي العام، أنا فتاة سهلة المنال.
- لم أكترث يوماً للرأي العام. أفضّل تكوين رأي خاص بي.
ارتعشت ياسمين بغرابة لمجرّد التفكير بأنه يحاول تكوين رأي عنها، إلاّ أنها سرعان ما أبعدت هذه الفكرة عن رأسها، وادعت عدم الاكتراث.
- عليّ الذهاب إلى العمل، أمن شيء آخر تودّ مناقشته معي؟
- في الواقع، نعم: أريد التحدث إليكِ في أمر ما.
- وما هو؟
- أملك حلاً لمشكلتنا الصغيرة.

- أي نوع من الحلول؟
- الحلّ الذي من شأنه القضاء على الشائعات، كافة وإعادة ثقة العائلة بك.
- أتقصد معجزة؟
سمعته يضحك، قبل أن يقول: «لا، ولكن حدثاً غريباً يمكنه أن يبرّر ما جرى».
- لم أفهم.
- أعني الزواج.
أوشكت ياسمين أن تختنق، وسألت: «زواج من؟».
ساد الصمت لبرهة، فقطعه كونور قائلاً: «أظن بأن علينا أن نتزوج في أسرع وقت ممكن».
- أظن أن عليك استشارة طبيب نفسي، فأنا لن أتزوج بك أبداً.
- لا تقولي «أبداً» يا عزيزتي.
شعرت ياسمين وكأن شاحنة صدمتها، فراحت ترتجف، وقالت بعد أن تمكّنت من استعادة رباطة جأشها: «لن يوافق أهلي على هذا أبداً».
- هل أنتِ واثقة؟
- طبعاً، يفضّل والدي الموت على السماح لي بالزواج منك!
- يبدو أنكِ لا تعرفين والدك تمام المعرفة.
- ماذا تعني؟
- لقد تحدّثت إليه لتوي.
- وماذا قال؟
- اقترح أن نتزوّج في أسرع وقت ممكن.

٢ . فخ لا مهرب منه

شعرت ياسمين بالدوار، واضطرت للاستناد إلى طاولة الهاتف كي لا تقع أرضاً.

- أنت لا تقصد حتماً ما تقوله. أعني.. هذا جنون مطبق، فنحن غرباء لا يعرف الواحد منا الآخر!

- لست واثقاً من هذا. نحن أقارب الآن، بما أن أختك قد تزوجت من شقيقي. بالإضافة إلى أننا قضينا الليلة معاً. وأرى بأن هذا يعني اجتياز جزء كبير من العلاقة.

- ليس الجزء الذي أعنيه. أنا لن أتزوّج أحداً. وحتى لو كنت سأفعل، فأنت آخر شخص قد أتزوج به.

- أنتِ تطرين عليّ.

- أعني ما أقوله كونور، الزواج مؤسسة قديمة الطراز بناها الرجال ليحكموا السيطرة على النساء.

- سيخيب ظنّ أخواتك كثيراً إذا ما سمعن رأيك. لا سيّما أنهن تزوّجن، ووجدن لأنفسهن رجالاً مناسبين خلال العام الفائت.

- هذه قمة الغباء!

ضحك كونور قائلاً: «هيا يا ياسمين. أعدك بأن أكون زوجاً ممتازاً».

- أنت تجهل معنى هذه الكلمة!

- سنضطر طبعاً إلى إقامة زفاف صغير.

- لن أتزوج بكَ.

- ولا أدري ما إذا كان والداكِ يريدان منك أن ترتدي فستاناً أبيض.

- لن أتز....

- ولا أظنّنا بحاجة إلى شهر عسل طويل.

- لن...

- ولكن، ربما سيكون الأمر مسلياً.

أقفلت سماعة الهاتف بغضب. كيف يجرؤ على السخرية منها؟

عاد الهاتف يرن من جديد، فرفعت السماعة بسرعة وقالت: «إذهب إلى الجحيم يا كونور هاروسميث!».

ثم وضعت سماعة الهاتف، وراحت تذرع شقتها ذهاباً وإياباً بغضب. لقد تأخرت نحو أربعين دقيقة على العيادة، بضع دقائق إضافية لن تشكل فرقاً كبيراً.

عليها حلّ سوء التفاهم هذا، ولكن كيف؟ ربّما عليها الاتصال بوالديها وشرح الأمر.

أمسكت بسماعة الهاتف، وطلبت الرقم بسرعة. أجاب والدها بوقاره المعتاد: «صباح الخير. المطران باپرن يتحدث».

- أبي، هذه أنا!

- ياسمين، كنت أتساءل متى ستتصلين.

- أردت أن أشرح...

- أمك مصابة بالانهيار، ما اضطرني إلى استدعاء الطبيب. الخبر منشور في الصحف كلها.

- الذنب ليس ذنبي، فالأمر هو...

- لا تقولي لي إنها غواية من الشيطان. أتعرفين كم مرّة أسمع مثل هذا الكلام في الأسبوع الواحد؟ أتعرفين؟

- أنا وكونور بالكاد نعرف...

- عرض الرجل القيام بما يتوجب عليه، على الأقل.

- ماذا . . . ولكني لن أقيم مراسم الزواج، فهذا الزواج يتعارض مع كلّ ما أؤمن به. لن أتزوج به.

- بلى ستفعلين. وإلاّ فإنك تري أمك ولن تريني مجدداً.

عجزت ياسمين عن تصديق ما تسمع. فجأة، أصبحت الاعتبارات الأخلاقية بالنسبة لوالديها أكثر أهمية من ابنتهما.

ردّت بصوت متقطّع: «فهمت».

- يستحسن بكِ أن تكوني قد فهمتِ أيتها الشابة، فلقد سبّبت لنا ما يكفي من المتاعب حتى الآن. اضطررت اليوم إلى تبرير تصرفاتك أمام رئيس الأساقفة، وأكدّت له أنك ستتزوجين بشقيق فيني خلال مهلة أقصاها شهر واحد.

- شهر؟

- سأكون مسروراً لو تزوجتما الأسبوع المقبل. فمن يدري، ربما أنت تحملين ولده!

ابتعدت ياسمين إلى الوراء غير مصدّقة، وتابع والدها: «صحيح أنه ليس الرجل الذي كنت أتمنّاه زوجاً لكِ. ولكن، لطالما كنتِ متهوّرة وغير مطيعة. ولعلّ زواجك من رجل صعب المراس سيلقنك بعض الدروس التي أبيتِ تعلمّها في السابق».

عجزت ياسمين عن الكلام، فيما اردف والدها متابعاً كلامه: «يستحسن بكِ البقاء بعيدة عن والدتك، لبضعة أيام على الأقل، فهي مستاءة للغاية».

تعرف ياسمين والديها بما فيه الكفاية حتى تدرك بأنهما غاضبين، ويستخدمان ردّات فعل بعضهما البعض كأعذار لعدم رؤيتها. فتأكيد والدها على مدى انزعاج والدتها ما هو إلاّ انعكاس لمدى انزعاجه. وبالرغم من تألمّها للأمر، فهي تعرف، من خبرتها السابقة، بأنها لن تستطيع تغيير الوضع. فإذا ما عقدا العزم على شيء ما، فإنهما لا يغيّران

رأيهما مهما قالت أو فعلت.

توجهت إلى العمل مرغمة. لم يساورها يوماً مثل هذا الشعور، وأحسّت بأن مشاكلها تهيمن عليها إلى حدّ أنها توشك على الانهيار.

جلست تستمع إلى مدمن متعافٍ، يشكو عدم دعم الآخرين له، وراحت تتساءل عن هوية الشخص الذي سيدعمها لاجتياز محنتها.

وضع ثود، المستشار الآخر في العيادة، الجريدة أمامها على الطاولة في وقت الغداء، وقال: «لم أكن أعرف أن واحدة من المشاهير تعمل في ما بيننا».

ابتسمت ياسمين نصف ابتسامة وتناولت الجريدة. كان الخبر منشوراً في الصفحة العاشرة.

لم تكن الصورة جميلة للغاية. وبدت نظراتها قلقة تدل على الشعور بالذنب.

وضعَت الجريدة بقوّة على الطاولة وأطلقت شتيمة، ثم قالت: «سأقتله!».

سألها ثود: «من؟ المصوّر؟».

قامت عن الكرسي بقوة: «لا! الرجل الذي نمت في غرفته».

رفع ثود حاجبيه، فاستدارت لتواجهه قائلة: «ليس الأمر كما تظنّ».

رفع ثود يده في حركة بريئة وقال: «لست أظن شيئاً».

- أنا أكرهه من كلّ قلبي!

- هذه كلمات قاسية، لتصدر عن ابنة مطران.

- سينكرني والداي بسبب هذا السافل.

- لعلّه أسداكِ خدمة!

- أظنني سآخذ إجازة لبعض الوقت، أحتاج للابتعاد ريثما تهدأ الأمور.

- حسناً، سأراقب زبائنك نيابة عنكِ.

- شكراً لك ثود، أقدّر لك هذا.

وابتسمت له ممتنة.

شكّل الساحل الجنوبي ملاذاً لياسمين منذ وقت طويل. فمنذ سنوات عدة، اعتادت أن تتوجّه إلى هذا المكان لتهرب من ضوضاء سيدني وتجلس وحيدة على تلك الشواطىء الرملية. لطالما وجدت علاجاً مهدئاً في صوت الأمواج، بعيداً عن التوتّر الذي يهيمن عليها وهي بالقرب من عائلتها. وقد سمحت لها إحدى صديقات والدتها باستعمال منزلها الواقع قرب الشاطىء.

لم يكن المكان فخماً، لكنّه آمن وساكن، وما من هاتف فيه. لقد وجدت نفسها مؤخراً تتوق كثيراً إلى الوحدة، فعندما تكون بمفردها تشعر بالأمان بعيداً عن نظرات أفراد عائلتها وعدم رضاهم، واعتبارهم أنها خاطئة ومتمردة.

المشكلة الوحيدة هي أنها لم تجد أحداً يفهمها. ويستحيل أن يفهمها أحدهم.

وضعت أغراضها القليلة في منزل الشاطىء، وخبّأت المفتاح في مكانه المعتاد في أسفل الشجرة، وهي الأعلى بين شجرات الكاوتشوك الثلاث، وتوجّهت نحو الشاطىء.

كانت ريح الخريف تتقاذف الأمواج التي تلتطم على الشاطىء. ربطت ياسمين شعرها الطويل إلى الخلف، ووقفت تواجه الهواء وقد أغمضت عينيها، ورذاذ الماء والملح يلامس وجهها.

تنهدت بارتياح، وبدأت تسير على طول الشاطىء، ورجلاها تغرقان في الرمل الرطب. سارت بعزم مصمّمة على محو صورة كونور هاروسميث من رأسها.

ما زالت غير مصدّقة كيف أنها دخلت غرفته عن طريق الخطأ، لا سيما أنها لم تكن تريد البقاء في الفندق. إلاّ أنّ أختها سام أصرّت عليها

بذلك، وقالت إنها لا تريد أن يتعرّض أحدهم لحادث سير وهو عائد من زفافها كي لا تقترن ذكرى زفافها بذكريات سيئة. حسناً، ها قد ارتبط زفافها، بالرغم من كل محاولاتها، بذكرى سيئة بسبب هذا السبق الصحفي الذي سبّبه الإشبين.

وياله من إشبين! إنه من الرجال الذين تتجنّبهم ياسمين بأية وسيلة، وسيم جداً وثريّ أيضاً، وغير مسؤول عن أعماله الطائشة. إنه يقود سيارات سريعة ويتجوّل في الأماكن الرائعة بحثاً عن الإثارة.

ولطالما عدّد فيني مغامرات شقيقه قائلاً بأنه يواعد ممثلات، ونساء متزوجات، ويحبّ العبث واللهو. وقد صدمت ياسمين مرّة لسماعها مقدار مبلغ المال الذي ربحه كونور في لاس فيغاس، فهي لم تظنّ يوماً بأن شخصاً يمكنه أن يربح كل هذا المال. واستعمل كونور ما ربحه ليبدأ عملاً ما في مجال الكومبيوتر، واتّسع عمله وأصبح لديه فروع في مختلف العواصم الأوسترالية الكبرى، وهو ينوي الآن التوسّع إلى خارج البلاد.

تباً له! يريد الزواج بها، وكأنه من الرجال الذين تقبل أية امرأة بالزواج به!

أمسكت حجراً، ورمته في الماء، وراحت تراقب تنقّله فوق الأمواج. بعد لحظات، استدارت لتعود أدراجها، فرأت طيف رجل طويل القامة يتجه نحوها.

شعرت بالتوتر، فهذا الرجل مألوف بالنسبة إليها. فركت عينيها بيديها ونظرت إليه بإمعان. وما إن اقترب قليلاً، حتى أدركت ياسمين أن ما من رجل آخر يبتسم بمثل هذه السخرية.

فكرّت بالهرب، لكن الرمل ثقيل، ولن تتمكّن من الركض لمسافة طويلة. عرفت أنها سوف تتعثّر وتقع إن ركضت بسرعة. ليس أمامها إذن سوى مجابهته ومعرفة ما الذي يفعله هنا بحقّ الجحيم!

انتظرت ريثما أصبح قريباً منها، وصاحت: «ما الذي تفعله هنا بحقّ

الجحيم؟».

- أنا أتنزه على الشاطىء!

قال هذا، ثم تناول صدفة عن الرمل وراح ينظر إليها كأنه يتفحصها، ثم ناولها إيّاها. رمت الصدفة من يدها، وقالت: «اذهب من هنا! لا أريد رؤيتك»!

تبعها بخطوات ثابتة وقال: «ولكنني أريد رؤيتكِ!».

- ولِمَ؟

واستدارت لتواجهه، فانفلتت خصلة من شعرها وطارت باتجاه فمها. أزاحتها بغضب، وحدّقت إليه وهي تتابع قائلة: «أنت تضيّع وقتك، لا شيء لدي لأقوله لك».

- أنا لدي ما أقوله لكِ.

- لا أريد أن أصغي!

- ولكنه أمر هام للغاية، هام إلى حدّ أنك، بعد سنوات من الآن، وعندما ستتنزهين على هذا الشاطىء مع أحفادك، ستتذكرينني وتتساءلين ما الذي كان يريد هذا الرجل اللطيف أن يقوله لي؟ وستلومين نفسكِ لأنكِ رفضت الإصغاء إليّ.

- لا تكن سخيفاً، فأنت لست برجل لطيف. كما أنني لا أكترث البتة لما ستقوله. لم أفعل يوماً ولن أفعل الآن!

- أظنكِ تكترثين يا ياسمين، ولكنكِ تفضلين إخفاء الأمر وادعاء عدم الاكتراث.

لم تسمح له ياسمين بأن يلاحظ كم هو مصيب في ما يقوله. رفعت رأسها عالياً، وتابعت السير وهي مصممّة على طرده بأية طريقة ممكنة. قال كونور بعد فترة من الصمت: «أنتِ تتجهين إلى مكان جميل».

تسمّرت في مكانها وحدّقت إليه، ثم سألته: «كيف عرفت أين تجدني؟».

لمعت عيناه الداكنتان، وقال: «أتريدين أن تعرفي؟»

- نعم. هل وظّفت أحدهم ليتعقبني؟

لم تظهر تعابير وجهه أي شيء، فازداد عبوسها. عندئذٍ، ابتسم كونور قائلاً: «لا تخافي، لن أطلع أحداً على سرّك الصغير!».

أبعدت عينيها عن عينيه الساخرتين. وشعرت بالخوف لأن شخصاً مثل كونور هاروسميث تمكن من كشف أسرارها. لن تستطيع المجيء إلى هنا مجدداً من دون أن تفكّر به. أصبح هذا الشيطان الأرعن يسكن جنتّها الخاصة. التزمت ياسمين الصمت إلى أن قال: «لا يفترض بكِ الاختفاء هكذا، من دون إطلاع أحد على مكانك. الأمر ليس آمناً».

- كان آمناً منذ خمس دقائق فقط.

- وما زال آمناً، لا سيّما أنني هنا لحمايتك.

- لا أحتاج إلى حمايتك.

- أؤكد لكِ أنكِ ستشعرين بالامتنان لوجودي هنا، بعد أن أطلعك على مّا صدر في صحف بعد الظهر.

شعرت بأنفاسها تتقطّع، واضطرّت إلى النظر إلى عينيه الداكنتين لتسأله: «ماذا تعني؟».

- هناك مقابلة مع زوجة روي هولدن.

- آه، يا إلهي!

- لا بدّ أن مبلغ المال الذي دُفع لها لقاء إجراء المقابلة قد بدّد كل الشكوك التي كانت تنتابها في السابق.

قالت ياسمين بصوت مرتجف: «لا أفهم ما علاقة هذا الأمر بكَ؟».

- طبعاً إنه متعلّق بي، فأنتِ الآن خطيبتي!

- لا، لست كذلك.

رفع حاجبيه مستنكراً، ثم قال: «عزيزتي، ما لم تتزوجيني خلال شهر فستجدين نفسكِ من دون عائلة. والدك جديّ للغاية، وهو مصمّم على

نكرانكِ. هذا تصرّف قاس من قِبله، ولكنه مرغم على ذلك بسبب موقعه الاجتماعي!».

حدّقت إليه، واستغربت استعماله العبارات نفسها التي غالباً ما تستعملها، وقد استعملتها منذ يومين فقط.

- ولكن، لا يعقل أنك تريد فعلا الزواج بي!

هز كتفيه قائلاً: «هذا أفضل ما يمكنني القيام به».

- شكراً.

استدارت، وسارت باتجاه منزل الشاطىء، إلا أنها شعرت به يسير خلفها.

تباً له!

ما إن سارت بضع خطوات حتى فقدت توازنها وتعثّرت، وكادت أن تقع إلى الخلف. أمسك بها كونور بسرعة قائلاً: «حذارِ، هذه الدرب خطرة للغاية إذا كنت تسيرين من دون تركيز».

لم تتجرأ على النظر إليه، بل استقامت، وسارت بعزم إلى أن وصلت إلى أعلى التلة وهي تلهث.

انضم إليها وبدا تنفسه منتظماً طبيعياً، من دون أن يبدو عليه أي تعب.

- عليكِ أن تمارسي الرياضة كي لا تتعبي إلى هذا الحدّ عند قيامك بأيّ مجهود.

- لست متعبة، بل أنا غاضبة.

حدّق إليها: «أعرف تمريناً ممتازاً للتخلص من الغضب».

وضعَت يديها على أذنيها وهي تقول: «اخرس، لا أريد أن أسمع عنه».

وضع يديه على يديها، وأزاحهما عن رأسها. أرادت أن تبعد يديه عنها، لكنها عجزت عن ذلك.

- ياسمين، اسمعيني!

أغمضت عينيها كي لا تنظر إليه، وصاحت به: «ارحل، أنا لا أريد حتى أن أنظر إليك».

سمعته يتنهد، ولكنها لم تفتح عينيها. لابدّ أنه سيغادر إذا ما استمرّت بطرده. فمعظم الرجال كانوا ليغادروا منذ ساعات خلت.

- أنت فتاة عنيدة جداً، أليس كذلك؟

- قل ما تريده، لن أصغي إليك.

- هناك الكثير من الأمور التي أريد قولها لكِ، ولكن يبدو أن الوقت الآن غير ملائم. يبدو أننا حظينا ببعض الرفقة!

فتحت ياسمين عينيها لترى من هو الشخص الآخر الذي سيدنّس جنتها، ويقتحم عزلتها.

- ما من أحد هنا.

واضطرّت إلى النظر إليه مجدداً، فقال: «أنا أخالفك الرأي».

شدّ بيديه على يديها، وأمال رأسها قليلاً نحو اليسار. ما إن نظرت ياسمين إلى الأسفل، حتى أصابها الذعر لرؤيتها حية بنية، لا تبعد أكثر من متر ونصف المتر عن قدمها. رمت بنفسها بين أحضان كونور من دون أن تكترث لكونه العدو، وهو قادر على إلحاق المزيد من الأذى بها على المدى البعيد. أمسك بها كونور بشدّة، وراح يتراجع تدريجياً بعيداً عن الحية.

- لا تخافي، لا أظن أنها مهتمة بنا. لقد رأيت في طريقي إلى هنا بعض أنواع الحشرات، ولا بدّ أنها تسعى لتناولها.

- كم أكره الحيات!

شعرت بضحكته تتردد في صدره، وهي ملقية برأسها عليه، قبل أن يقول: «لن أقتني حية كحيوان أليف».

خفّف من شدّ قبضته عندما وصلا إلى آخر الطريق، بعيداً عن الحية.

- حسناً، أصبحت بمأمن عن الحية الآن.

نظرت من حولها لتتأكد من عدم وجود حيات أخرى، ثم قالت: «شكراً لك».

هذا أقل ما يمكنها قوله في ظلّ الظروف الراهنة. فكلاهما يعلم بأنها لو تراجعت خطوة إلى الوراء، لسقطت من أعلى المنحدر. شعرت بانقباض غريب في معدتها لكونه، هو من بين كل الناس، قد جاء لنجدتها.

ردّ كونور بصوت هادىء كما لو أنه لم يتأثر بوجود الحية: «لا داعي للشكر، أستطيع التعامل مع الحيات، أما مسألة الآباء الغاضبين المهددين فأمر آخر».

ذكرتها كلماته بمشاكلها العائلية. لم تكن تعرف الكثير عن آل هاروسميث، وكل ما عرفته من سام هو أن والدة كونور توفيت بعد فترة قصيرة من زواجها بجوليان هاروسميث، تاركة كونور في الرابعة من العمر بعهدة وصيّ. وكونور هو ابنها الوحيد من زواجها السابق الفاشل، أمّا فيني، ابن جوليان وزوجته الثانية هاريت، فهما يتحدثان عن كونور بنبرة ملؤها العاطفة. مع أنها شعرت بأنهم ليسوا مقرّبين من بعضهم البعض إلى هذا الحدّ.

سألته وهما يسيران على الطريق المحفوفة بالأشجار: «ما كانت ردّة فعل عائلتك لدى سماعها بآخر فضيحة من فضائحك؟».

- أثاروا الجلبة عينها حول حرماني من الميراث وما إلى هنالك.

- هذا أمر مريع! عليك التصرف بسرعة.

- لا أملك الكثير من الخيارات الآن. كلّما هدأت الأمور بسرعة، كلما كان هذا أفضل. لدي التزامات مالية ضخمة عالقة في أعمالي في الخارج، ولا أريد أن يتحوّل المال الذي ورثته عن أمي إلى اتجاه آخر.

- أيستطيع زوج والدتك القيام بهذا؟

وقفت تنظر إليه وقد قطّبت جبينها قلقة.

- إنه واحد من أشهر المحامين في سيدني، يستطيع أن يفعل ما يشاء.

عضّت ياسمين على شفتها وتابعت سيرها وهي تقول: «ولكنك حتماً تملك مبلغاً كافياً من المال، يسمح لك بألا تكترث لتهديداته».

وضع كونور يده على ذراعها، فتوقفت عن المسير ثم أدارها لتواجهه، فشعرت بحميمية لم تعهدها في السابق.

- أملك الكثير من المال ولكن لا يمكنني التصرّف بالمال الذي ورثته عن أمي ما لم أتزوّج.

- ماذا؟

- هذا ما ورد في الوصية. أظن بأن والدتي لم تشأ أن تمرّ فتاة فقيرة بما مرّت به هي في صباها. لم ترد أن تخاطر بالرغم من أنني ولدها الوحيد، وكنت لا أزال صغيراً عندما كتبت الوصية.

عضّت ياسمين على شفتها مرة أخرى، ثم قالت: «الزواج خطوة كبيرة... ياليتني أستطيع مساعدتك، ولكن...».

- ماذا ستفعلين بشأن عائلتك؟

- أستطيع التعامل معهم بنفسي!

- ومقابلة هولدن؟ أتستطيعين التعامل معها أيضاً؟

- كما تعلم، سبق أن مرّرت بمثل هذه المحنة من قبل.

- نعم. أنتِ تعلمين تماماً كيف تستفزين المجتمع.

ابتسمت للكلمات التي استخدمتها، وقالت: «لا أتعمّد ذلك، أؤكد لك الأمر!».

- نعم، ولكن هذه المحنة لن تساعد والدك على الترقي. أخبرني فيني بأن إلياس ينوي أن يصبح رئيساً للأساقفة عندما يتقاعد الرئيس الحالي.

تذكرت ياسمين أنها سمعت هذا الحديث من قبل، ما ضاعف شعورها بالقلق. وأدركت بأن والدها وافق على زواجها من كونور، لأن في ذلك حلاً لمعضلته.

- لم أطمح يوماً للزواج، فأنا عاجزة عن تخيل نفسي مكبّلة في المطبخ طيلة خمسين عاماً أو أكثر.

- ليست الزيجات كلّها هكذا.

- أحقاً؟

وضع يده على شعره الأسود المتطاير، وبدت ذقنه داكنة كما لو أنه لم يحلق منذ يوم زفاف أختها. وتساءلت ما سيكون شعورها إن عانقها الآن ولمست بشرتها خدّه الرجولي! ارتعشت قليلاً للفكرة، ثم أشاحت بنظرها بعيداً عن وجهه، فسألها: «هل تشعرين بالبرد؟».

- لا.

وسارا لبعض الوقت بصمت.

راقبها كونور وهي تسير بقربه، ورائحة شعرها العذبة تطير إلى أنفه، والهواء يداعب شعرها ويرسل الخصل إلى وجهها. شعر بانقباض في معدته، تماماً كما حصل له في المرة الأولى التي التقاها فيها. إنها مختلفة تمام الاختلاف عن كل النساء اللواتي عرفهن، لقد عرف الكثير منهنّ في الآونة الأخيرة، لكن الوقت حان ليستقر بعد علاقاته المتعدّدة. إنه يدين بهذا لذكرى والدته، على الأقل.

فكّر بأن والدته كانت لتوافق على زواجه من ياسمين، فياسمين أشبه بنسيم البحر بطبعها المليء بالتحدي ولسانها السليط. ولكنه على ثقة بأنها بدأت تلين. لقد رأى هذا في عينيها الخضراوين عندما خالته لا ينظر إليها. إنها تتوق إليه وهو ينوي إشباع توقها هذا...

أنصتت ياسمين إلى حفيف الأوراق تحت أقدامهما، وصوت زيز الحصاد الذي يعرف بأن الصيف الطويل الحار قد انتهى، وأن أيام الشتاء ستمنعه من الإنشاد. سألها كونور بعد بضع دقائق: «كم من الوقت تنوين البقاء هنا؟».

أجابته بانزعاج لعدم رغبتها بإطلاعه على تحركاتها: «يوم أو اثنين».

- لقد ركنت سيارتي أمام منزل الشاطىء.

- وكيف وجدته؟

- قدت سيارتي في الممر فوجدته أمامي.

نظرت إليه مستنكرة ردّه، وعادت تسأله: «أعني كيف عرفت أنني هنا؟ فأنا لم أخبر أحداً بمكاني!».

- حسناً إنها قصة طويلة. ولكن، كنت أناقش بعض الأعمال العقارية مع أحدهم وذكروا لي هذا المكان فاهتميت به واشتريته.

أجبرت نفسها على السير آملة أن تحافظ على رتابة صوتها: «أحقاً؟».

- لا بدّ أنكِ تعرفينه، إنه لا يبعد كثيراً عن منزلك.

- أي منزل هذا؟

- المنزل القديم في آخر الطريق.

إنها تعرف ذلك المنزل تمام المعرفة. ولطالما تجنبته، لأنها رأته مهملاً، ومهجوراً، وحزيناً كما لو أن الرجل الذي عاش فيه قضى أياماً حزينة مع زوجته. وكون كونور قد اشتراه ليس إلاّ دليلاً قاطعاً على رغبته بفرض نفسه عليها وعلى هذه الأرض النائية.

- لا يحقّ لك أن تأتي إلى هنا.

- أخشى أنني لا أوافقك الرأي، فهذا المكان ملك لي، ويسعني الحضور والمغادرة ساعة أشاء.

حدّقت إليه بغضب: «أنت تتعمّد القيام بهذا، تقتحم كل جزء من حياتي كي تحصل على مبتغاك».

- لا تكوني كثيرة الشكوك، لم أفكّر للحظة بشيء كهذا.

- لا تكذب عليّ! إن كنت تظن بأنك ستدفعني إلى الزواج منك بغية إخراجك من المتاعب، فأنت مخطىء تماماً. فما من شيء على هذا الكوكب سيغريني لأصبح زوجتك!

تركها تنهي حديثها، وهو يقف أمامها بهدوء ممّا زاد من سخطها.

استدارت بعنف، وأخفضت رأسها كي لا يلمح الدموع التي انهمرت من عينيها.

انتبهت وهي تلتف عند الزاوية إلى أنه لم يعد خلفها. تابعت سيرها بمفردها متجهة نحو المنزل الذي يعرف قلّة من الناس بوجوده. وعندما تأكدت من أنه لا يلاحقها، جلست على حافة الطريق وأطلقت العنان لدموعها. ولم تغادر المكان إلاّ بعد ساعة من الوقت متجهة نحو المنزل الصغير.

عندما وصلت إلى هناك، لم تجد سيارة كونور. نظرت إلى الأرض المملوءة بالحصى، فرأت آثار عجلات سيارته، وشعرت بالانزعاج. سوف يعود، إنها واثقة من هذا.

سيعود.

فكرت ياسمين أنه لو عاد كونور فسيجدها تبكي، لذا فالحلّ الأمثل يقضي بأن تغادر. وضعت أغراضها في حقيبتها، واتجهت مسرعة نحو سيارتها، كما لو أن أحدهم يطاردها. نظرت لحظة إلى منزل الشاطىء وغادرت قبل أن تغيّر رأيها.

من حسن حظها أن طريق العودة إلى المنزل كانت خالية من الأحداث، ولم تصادف زحمة سير تذكر. بدت شقتها خالية من الهواء النقي، مقارنة بالهواء النقي على الشاطىء. شعرت بالضيق والعجز، كما لو أن أيامها معدودة وقد حكم عليها بالاعدام. فمنذ أن دخل كونور هاروسميث حياتها، فقدت كل معنى للأمان.

جعلها هذا الرجل تشعر بأحاسيس لم ترغب يوماً بها. كان يغضبها كثيراً إلى حدّ أنها تمنّت لو تضربه. أرادت أن تعنّفه كي يتوقّف عن الضحك منها.

رن جرس الهاتف بقربها، فنظرت إليه بتردّد، ثمّ قرّرت رفع السماعة.

جاء صوت والدتها متقطعاً وبدا جلياً أنها تبكي: «ياسمين».

- مرحباً أمي.

- ياسمين، عليكِ أن تتزوجي به، تزوجي به من أجلي أرجوكِ.

أوشكت ياسمين على البكاء، فابتلعت ريقها بصعوبة، وقالت: «أمي، أنا...».

- لقد دعى مجلس الرعية إلى اجتماع طارىء، وهم يفكّرون بسحب دعمهم لوالدك. وبما أن المجمع سينعقد بعد بضعة أسابيع، فأنت تعرفين كيف سيؤثر هذا على منصبه ومشاريعه.

- أمي!

- ياسمين لقد فعلت كل ما بوسعي، ولكن لا فائدة. لا يسعني أن أرى والدك منهاراً. ما حدث المرة الفائتة كان مزعجاً للغاية، وها نحن الآن نعيش المحنة نفسها مجدداً، الفضيحة منشورة في الصحف كلّها.

- لست المخطئة في هذا.

- بل أنتِ كذلك!

شدّت ياسمين على سماعة الهاتف محاولة السيطرة على طباعها. هذا غير عادل! أما من شخص في هذه الدنيا مستعد لسماع التفاصيل كافة قبل إصدار الحكم؟

- لقد أصدر والدك إنذاراً!

- وما هو؟

- يرفض أن يراك مجدداً ما لم توافقي على الزواج بكونور فوراً.

- وماذا عنكِ، أستقبلين برؤيتي إن لم أتزوّجه؟

ساد الصمت بينهما لفترة، ثم قالت والدتها: «عزيزتي... أنت تعلمين مدى صعوبة الأمر بالنسبة لي... ولكنني اتفقت مع والدك...».

سمعت ياسمين ما فيه الكفاية. أدركت أنها محاصرة، وأن لا جدوى من القتال. فكلّما لجأت والدتها إلى هذه النبرة، شعرت ياسمين بالذنب،

كما لو أن حِملاً كبيراً يثقل كاهلها. إنها تحب والدتها حباً جماً، وهي مستعدة للقيام بأي شيء لإسعادها وإراحتها من عذابها.

قالت بعد دقائق من الصمت: «حسناً... سأتزوج به».

كان يفترض بتنهيدة الارتياح التي اطلقتها والدتها أن تريحها وتشجّعها، لكنها لم تفعل. بل على العكس، جعلتها تشعر بأنها دخلت لتوها إلى مصيدة حُضّرت خصيصاً لها.

وتخيلت كونور هاروسميث يقف في الجهة المقابلة للفخ، وهو يبتسم لانتصاره.

٣ - أين خاتمي؟

لم تكن ياسمين تملك أية وسيلة اتصال بكونور، ولكن لابد أنه عرف بأنها غيّرت رأيها، لأنها عندما عادت في اليوم التالي من العيادة، وجدته ينتظرها خارج شقتها.

كان يستند إلى سيارته المازيراتي السوداء اللماعة، وهو يرتدي بذلة رسمية، مؤلفة من قميص أنيق مع ربطة عنق وبنطلون أسود.

التقت أعينهما عندما عبرت الشارع بعد أن نزلت في محطة الباص.

- مرحباً.

- ما الذي أتى بك إلى هنا؟

- وماذا تظنين؟

تنهدت ثمّ نظرت إلى وجهه الوسيم قائلة: «لا أظنك أحضرت معك خاتم الخطوبة؟».

- في الواقع، لقد فعلت.

تفاجأت تماماً برده ولم تستطع إخفاء دهشتها فهتفت: «آه!».

وما عساها تقول أكثر من ذلك؟

- كان الخاتم ملكاً لجدتي، وآمل أن يناسب مقاس إصبعك. وإن لم يكن مناسباً، فسندخل عليه تعديلاً ليصبح كذلك.

ومدّ يده إلى جيبه، وناولها علبة مخملية صغيرة بالغة القدم.

أخذت ياسمين العلبة من يده، وحاولت عدم لمس أصابعه. فتحت العلبة، وحدقت للحظات طويلة إلى الياقوتة المحاطة بألماسات صغيرة.

www.elromancia.com

- هيا، ضعيه في إصبعك!

أخرجت الخاتم من العلبة ووضعته في إصبعها، ولم تستغرب كونه جاء مناسباً تماماً.

رفعت نظرها المضطرب نحو كونور وقالت: «إنه جميل، لابدّ أنه ثمين للغاية!».

- إنه كذلك!

لم تعرف ماذا عليها أن تفعل. بدا لها من الخطأ القبول بمثل هذا الخاتم، لأسباب شتّى. فهذه الخطوبة ليست صادقة، ولن يكون الزواج كذلك أيضاً.

- أترغب بشرب شيء بارد أو ما شابه؟

ومدّت يدها إلى حقيبة يدها تبحث عن المفاتيح، وهي تحاول إخفاء اضطرابها.

- نعم، طبعاً.

تبعها عبر المدخل إلى المبنى الذي تقيم في الطابق العلوي منه. أملت ألا يلاحظ الجدران المشققة على الدرج. تخيلت أنه يقطن شقة ضخمة في منطقة راقية، ولابدّ أنه يشعر بالاشمئزاز لتواجده في مكان كهذا.

إلا أنه فاجأها، مرة أخرى، بقوله: «المكان حميم!».

التزمت الصمت ولم تجب.

- هل تسكنين هنا منذ مدّة؟

- منذ بضعة أشهر. المكان قريب من العيادة.

- آه، العيادة! لقد سمعت بأمر هذه العيادة.

- ممّن؟

اتسمت كلماتها بالغضب، وتخيلت والديها يصفان له المبنى الذي تعمل فيه، ويشكيان أمرهما له. فابنتهما البكر اختارت مثل هذه المهنة، وهي تتقاضى راتباً زهيداً أيضاً.

- لم أسمع عنها من شخص تعرفينه!

- ألم يحدثك والداي عنها؟

- أخشى أن الأحاديث التي أجريتها مع والديك، حتى الآن، قد تركّزت على مواضيع أخرى.

نعم، تستطيع ياسمين أن تتخيل هذا!

- وهل وجدت نفسك مضطراً إلى الإصغاء إلى محاضرة من محاضرات والدي حول الصواب والخطأ؟

- لقد وصلت مع والدكِ إلى طريق مسدود. فهو يظن بأنه على صواب، وأنا أرى أنه على خطأ.

- بأي شأن؟

- بشأنكِ!

حدّقت إليه باستغراب: «بشأني؟

- نعم، فهو لا يعرفك حقّ المعرفة، أليس كذلك؟

شعرت ياسمين بأنها باتت مكشوفة أمامه. كيف عساه توصّل إلى مثل هذا الاستنتاج، فهو بالكاد يعرفها؟ بالطبع، لم تعطه تلك الليلة البريئة التي قضتها في غرفته أية معلومات وافية عن طبعها.

- لست أفهم تماماً ما تعنيه؟

- أتعلمين أن الناظر من بُعد يدرك بسهولة أن مكانك ليس ضمن عائلتك.

قال ذلك وهو ينظر إليها متفحصاً، أمّا هي فأشاحت بنظرها بعيداً وحدّقت إلى المصباح. لم تكن الشمس تنير شقتها في فترة بعد الظهر، وكان ضوء المصباح يعكس جوّاً من الحميمية جعلها تشعر بالغرابة للمرّة الأولى في حياتها.

- ولِمَ تقول هذا؟

راقبته بطرف عينها وهو يجلس على الأريكة.

- لنأخذ شعرك على سبيل المثال.

- شعري!

ولمست خصلات شعرها التي تحيط بوجهها، بصورة لا شعورية. تلك الخصلات التي تنفلت من رباطها مهما حاولت منعها. فمهما حاولت جاهدة يبقى شعرها منسدلاً.

- شعر أخواتك أشقر ناعم أما أنت فشعرك كستنائي أجعد.

- وماذا في ذلك؟

- والداك شقراوان.

- لعلي ورثت لون شعري عن أحد أجدادي. هذا أمر ممكن، ويحدث من وقت إلى آخر.

حدّق كونور إليها بإمعان، فشعرت بالانزعاج من طريقة نظره إليها، وخشيت أن تخترق نظراته ذلك الجدار من عدم المبالاة الذي بنته حول نفسها. سألته وهي تتوق لتغيير موضوع الحديث، حتى لو أدّى هذا الأمر إلى إطالة زيارته: «ماذا تودّ أن تشرب؟».

- أنتِ ماذا تشربين؟

- هناك العصير، والقهوة، والشاي، والماء. والقهوة جاهزة أيضاً.

فاجأها من جديد بقوله: «كوب من الماء من فضلك، فالطقس حار اليوم، أليس كذلك؟».

لم تكن واثقة من مدى حرارة الطقس. ولكن، ما هي على يقين منه هو أنها تشعر بالحرّ بسبب نظراته المركّزة عليها.

- لم أخرج كثيراً اليوم، كنت منهمكة طوال النهار في ورشة عمل.

وتوجهت إلى المطبخ، وتناولت كوبين من الخزانة التي تعلو حوض الغسيل.

سألها وهو يقف خلفها: «ماذا تعملين في العيادة؟».

انتظرت إلى أن ملأت كوبي الماء، ثم استدارت لتجيبه. تناول

الكوب الذي قدّمته له ولامست أصابعها أصابعه للحظة.

- أنا أعمل في فريق إعادة التأهيل. نحن نعلّم المرضى المهارات الحياتية، ونساعدهم على إيجاد عمل، وما إلى هنالك من الأمور.

- إنه عمل مرضٍ.

نظرت إليه بحدّة وقالت: «أحياناً».

ثم ارتشفت جرعة من الماء وتابعت: «ولكن لسوء الحظ، لا أحظى بعدد كبير من النهايات السعيدة كما أتوقع».

- الناس أحرار، لا يمكنكِ دائماً دفعهم إلى التغيّر، ما لم يرغبوا بذلك بأنفسهم.

وضعت الكوب في حوض الغسيل، وقالت: «أعلم هذا، ولكن عليّ أن أحاول».

- هل لخلفيتك الأسرية علاقة بالأمر؟

نظرت إليه فجأة عندما سمعت كلامه، ودهشت لمدى رغبتها بالاعتراف له بصحة رأيه، ولكن شيئاً ما منعها. لم تود إشراكه في أي جزء من حياتها الخاصة.

ابتعدت عن حوض الغسيل وسارت قربه.

- إذا كنت قد انتهيت من شرب الماء، فأظن بأن عليك المغادرة. لدي بعض المكالمات الهاتفية لأجريها.

مدّ يده إلى ذراعها وأمسك بها. أجبرت نفسها على النظر مباشرة إلى عينيه، ولكنها اضطرت إلى تجنيد كل ذرة قوّة تملكها لتتمكّن من هذا.

- لم أنته بعد من الكلام معكِ. فعلينا التخطيط للزفاف.

- خطّط له بمفردك، فأنا لست صعبة الإرضاء.

- يبدو هذا جلياً. ولكن على أية حال، أريدك أن تبدي رأيكِ.

- لا أريد زفافاً كبيراً، أكتفي بالذهاب إلى المحكمة المدنية والزواج من دون ضيوف.

- وماذا عن الصور؟

- لا أريد صوراً.

- قد تندمين على هذا يوماً ما. ماذا لو طالب الأولاد برؤية الصور؟».

أفلتت من قبضته وحدّقت إليه: «أي أولاد؟».

لم تكترث للبريق الذي لمع في عينيه السوداوين وهو يرد قائلاً: «أولادنا طبعاً!».

شعرت بموجة من الدفء تغمر قلبها لمجرد التفكير بأنها ستحمل أولاده، لكنها سرعان ما أبعدت هذه الفكرة عن رأسها، وقالت: «إن كنت تظن بأن هذا الزواج سيتمّ، فأنت مخطىء للغاية».

رفع حاجبه: «لا تجزمي أبداً يا عزيزتي، فغالباً ما ترتد هذه التصريحات على قائلها».

- أنا لا أريد الزواج بك أصلاً، وإن اضطررت إلى إقامة علاقة حميمة معك فسوف تسوء الأمور أكثر.

- ولِمَ تفعلين هذا؟

- أنت تعلم السبب.

- سأعاملك برقة.

أرادت أن تدوس على رجليه وتؤلمه لشدّة ما أغضبها كلامه. صاحت به: «بحق السماء! كفّ عن الاستهزاء بي!».

- أنا لا أستهزىء بكِ، بل أعلمك بنواياي ليس إلاّ.

- أعلم نواياك تماماً، فأنت تريد زيادة الوضع سوءاً. أدرك تماماً ما الذي تخطط له، تريد الانتقام من زوج والدتك، أليس كذلك؟

ضاقت عيناه، فيما تابعت ياسمين كلامها بحدّة: «الجميع يعتقد بأنني فتاة سيئة. وحتى لو نسي البعض هذا، فستذكرهم الصحف به. وأنت تظن أن ما من طريقة أفضل لإذلال عائلتك من الزواج بي رغماً عنها».

- إن كنت تذكرين، والدك هو من عرض فكرة زواجي بك.

إنه محق. لقد نسيت هذا التفصيل الصغير، ولكن ما الفرق؟

- في كلتي الحالتين، مازلت تخضع للعقاب. فأنا القصاص الذي ستناله في النهاية، بغض النظر عن هوية الشخص الذي أصدر الحكم.

راح كونور يضحك من كلامها ما خفّف من حدة التوتر.

- لِمَ تضحك؟

- أضحك منك.

- أحاول ألاّ أبدو مضحكة.

- أعلم، ولهذا تنجحين تماماً في إضحاكي. قلة من الناس تستطيع حملي على الضحك.

حاولت ياسمين طرد الفكرة التي تساورها، بأنهما يتبادلان شيئاً أبعد من لحظات المزاح والتسلية هذه. ثمة شيء ناعم أشبه بغمامة رقيقة سيطرت على الغرفة، ولفتهما بطريقة غامضة.

كان كونور يبعد بضع خطوات عنها، ومع ذلك استطاعت أن تشعر بدفء جسمه وهو ينظر إليها، وكأن فمه المبتسم يبعث لها برسالة صامتة نفذت إلى عمق أنوثتها.

قلصّ المسافة التي تفصل بينهما من دون أن تشعر به يقترب. وتساءلت للحظة، إن كانت هي التي اقتربت منه لشدة ما ترغب بذلك. أحنى رأسه ببطء، أما هي فترقبت عناقه إلى حد جعلها تشعر بالألم. صدرت عنها تنهيدات بطيئة، وعندما اقترب منها أكثر، اندست ياسمين به، كما لو أنها تخضع لأوامره الصامتة.

عانقها كونور بشغف، تماماً كما أراد أن يفعل منذ اللحظة الأولى التي رآها فيها في الكنيسة، خلال حفل زفاف أختها. قرّبها منه وضغط على كتفيها بشغف كبير.

إنه يرغب بها بقوة. وشعرت ياسمين كأنها تنتمي إليه. لقد أسرها،

www.elromancia.com

أسرها حقاً، فشعرت وكأن العالم لا يساوي شيئاً بمعزل عن لمساته.

إنها تتوق إليه كتوق العطشى للماء أو الجياع للقوت. فكل خلية في جسمها استفاقت لترحب به، وكل عصب قام ينبض تحت لمساته.

لم تدرك يوماً مدى جاذبيته، أما الآن فقد استعر الشوق في داخلها إلى حدّ أنها نسيت كبرياءها، تلك الكبرياء التي كانت، حتى تلك اللحظة، تحتلّ المرتبة الأولى في حياتها.

عندما شعر باستسلامها، رفع يده برقة ولامس خدّها مجبراً إيّاها على النظر إليه.

- تعلمين إلى أين سيؤدي بنا ذلك. لكني أعرف بأن الوقت غير ملائم الآن. أعدك بأن أنهي يوماً ما بدأته لتوي، أقسم بذلك.

لاحظت ياسمين، بأن بريق الرغبة في عينيه لم ينطفىء، ولم تستطع الإشاحة بنظرها عنه حتى لو أرادت ذلك. ابتلعت ريقها بصعوبة وحاولت التنفس بطريقة منتظمة.

أفلتها كونور وابتعد قليلاً عنها وهو يقول: «علي أن أرحل الآن، هل ستكونين بخير؟».

عادت إليها كبرياؤها. من يظنها؟ فتاة يائسة إلى الحب؟

- أظنني سأتدبر أمري.

ابتسم لها ولمس خدّها مرة أخرى، قائلاً: «إلى اللقاء».

راقبته وهو يسير في الغرفة، ثم سمعت صوت الباب ينغلق خلفه. أما هي، فتسمّرت في مكانها. وأيقنت في تلك اللحظة، مدى شعورها بالفراغ. لطالما تهرّبت من هذا الشعور، لم ترد يوماً أن تشعر بالفراغ لغياب رجل ما، وها هي تفعل الآن. إنها لا تريد أن تحبه، ولن تستسلم له.

فعلت ياسمين كلّ ما في وسعها لتتجنب اتصالات كونور الهاتفية. رفعت سماعة الهاتف لساعات طويلة، ولم تفتح الباب عندما قرع مراراً.

راحت تعمل بجهد لساعات طويلة بغيه تجنبه وذلك إلى أن تصبح مستعدة للقائه. وها هي لم تستعد بعد.

وتساءلت إن كانت ستستعدّ يوماً. فما إن تفكّر به حتى يختلج فؤادها، وتتذكر ذلك الشعور الرائع الذي خالجها وهي بين ذراعيه، وتدرك كم تحتاج إليه بقربها.

وكأنما كونور عرف ما يجول في فكرها، إذ وجدته مساء الجمعة واقفاً أمام العيادة وهي تغادرها عند منتصف الليل. كان يقف في الخارج، مستنداً إلى سيارته، ونظره الداكن مسمراً عليها.

ابتعد عن السيارة ما إن رآها، وقبل أن تتمكّن من التفوّه بكلمة، تناول يدها اليسرى ورفعها يتفحصّها، ثمّ أفلتها وسأل: «أين خاتمك؟».

اغتاظت من حدة نبرته، وأجابت: «لا ألبسه في الأماكن العامة».

- ولِمَ لا؟

رفعت حاجبيها، وابتعدت عنه متجهة نحو محطة الباص. لم تكن قد خطت ثلاث خطوات حتى أمسك بقميصها وشدّها إلى الخلف. ضربته على يده قائله: «مهلاً، هذا قميصي المفضل!».

- إنه كبير عليك، كما أن لونه لا يناسبكِ.

انزعجت للانتقاد الذي وجّهه لها، فقالت على الفور: «إنه يعجبني!».

- لِمَ لا تردين على اتصالاتي الهاتفية؟

- كنت منشغلة.

- أنت تتجنبيني!

- لا، لا أفعل!

- لِمَ لا تلبسين خاتمي؟

- ظننته خاتمي!

- تعرفين ما أقصد.

- إنه باهظ الثمن.

- بحق السماء يا ياسمين! إنه خاتم الخطوبة. يفترض به أن يكون باهظ الثمن!

- لا أحب ارتداء المجوهرات الغالية الثمن.

- إذاً سأحضر لكِ شيئاً أقلّ ثمناً.

- لا أريد شيئاً أقل ثمناً.

- إذاً، ماذا تريدين بحق السماء!

- أنا...

وسرعان ما أطبقت فمها. أوشكت أن تقول له بأنها تريده... تريده بكلّ جوارحها. ولكن عوضاً عن هذا، قالت: «أريد أن أعود إلى المنزل، كان يومي طويلاً للغاية».

تنهد كونور، وأمسك بيدها. قادها نحو سيارته، ثم قال وهو يفتح الباب: «كان الأسبوع بالنسبة لي طويلاً للغاية، ولم ينته بعد».

لم ترد، بل استقامت في مقعدها، ووضعت حزام الأمان حول خصرها. راقبته وهو يدور ويتجه نحو مقعد السائق، ثم يجلس مقطّب الجبين.

- إياكِ أن تفعلي هذا مجدداً، أتسمعين؟

نظرت إليه ببرودة، وردّت: «أنا لست ملكاً لك».

- ليس بعد.

قال هذا وأدار محرّك السيارة بعنف.

كتّفت يديها حول صدرها، وسألته: «هل استيقظت ومزاجك معكّر هذا الصباح؟».

- نعم، يمكنكِ أن تقولي هذا.

وتذكر شعور الوحدة الذي اجتاحه عندما استيقظ هذا الصباح. وكأن ياسمين أدركت سبب شعوره ذاك فانقبض قلبها. وتساءلت إن كانت لديه

لديه حبيبة ما، وشعرت بالغيرة تتملكها.

- ربّما عليك أن تحسن اختيار الشخص الذي تود أن يشاركك الفراش.

- أنوي التصرّف على هذا الأساس في المستقبل.

لم تعرف بما تجيبه، فلزمت الصمت.

ومرّ بعض الوقت قبل أن يتكلّم، إلى أن قال: «أظنك شاهدت المقابلة التلفزيونية مع زوجة هولدن مساء أمس، على القناة الأولى!».

ثبتت نظراتها على رجليها، وقالت: «لا، لم أفعل».

شعرت به ينظر إليها، ثم يسألها: «ولِمَ لا؟ لابدّ أنك ترغبين بمعرفة ما يقال عنكِ؟ يمكنكِ إجراء مقابلة تلفزيونية خاصة بك، وإخبار الناس بـ...».

- لا!

شعرت به ينظر إليها مجدداً، ثم قال: «تبدين مصمّمة للغاية».

- أنا كذلك.

- ألا يغرّكِ المال؟

أجابت وهي تنظر إليه: «لا، المال لا يغرّني».

عاد ينظر إلى الطريق أمامه، وقد قطب جبينه. أدرك أنها لا تعرف الحقائق كافة، وكيف عساها تفعل؟ أما المشكلة المطروحة هنا، فهي معرفته للكثير. شعر بثقل في صدره بسبب المعلومات التي يعرفها. أراد قول الحقيقة لها لكنه متردّد. يستحسن أن يدعها تشك بشيء ما، ثمّ يقودها تدريجياً إلى معرفة الحقيقة.

شعر برغبة جامحة بحمايتها، وتفاجأ لشدّة هذه الرغبة. فهو ليس رجلاً يحبّ الظهور بمظهر الفارس المنقذ، والله وحده يعلم كم مرة قام باستغلال علاقاته للوصول إلى مآربه الخاصة. ولكن ثمة شيء ما في ياسمين يجذبه، كما لم يسبق لأحد أن فعل. ومع أنه لم يكن يفهم تماماً

كنه ذلك الشيء، لكنه واثق من ضرورة حصوله عليها. أما الانذار الذي وجّهه إليها أهلها، فسوف يسهل الأمر عليه أكثر بكثير ممّا توقّع.

قال بعد صمت طويل: «وردني اتصال هاتفي من والدك اليوم!».

تنهدت ساخرة، فيما كان هو يركن سيارته قرب منزلها، وسألته: «ماذا أراد؟ أن يتملّقك أكثر ممّا فعل؟».

- يبدو أنه يعيد النظر في مسألة زواجنا!

شعرت ياسمين بالتوتر، أما هو فتابع: «يظن بأنكِ تستطيعين الزواج بشخص أفضل مني!».

أجابته من دون أن تنظر إليه لفقدانها الشجاعة: «وماذا قلت له؟».

تنهّد كونور، فازداد توترها وانتظرت ما سيقوله بصمت.

- ما قلته لا يليق بأن تسمعه ابنة مطران. ولسوء الحظ، لا يليق بأن يسمعه مطران أيضاً.

ضحكت قبل أن تتمكّن من ردع نفسها. ثمّ ما لبثت أن تمالكت نفسها، لكنها عرفت بأنه سمعها. سألته: «إذن، هل تم إلغاء الزفاف؟».

- لا، لم يتم إلغاء الزفاف.

راودها شعور رائع إزاء نبرته المتعاطفة، وما لبث أن تابع قائلاً: «في الواقع سرعان ما غيّر رأيه مجدداً».

نظرت إليه بقلق، وتساءلت عمّا يدور في خلده، وما الذي يخفيه وراء هذه الابتسامة المثيرة.

- لا تقل إنك اضطررت لرشوته كي يقبل بأن أتزوّج بك.

ضحك بصوت خافت، فشعرت بالدم يغلي في عروقها.

- والدك فخور جداً بنفسه.

- هذا صحيح.

- ولكن بعد أن يقبض الشيك الذي تبرّعت به لصالح جمعيته، لا أظنه سيستمر باعتباري زوجاً غير ملائم لكِ.

علا العبوس وجهها وقالت: «ظننتك تفتقر إلى المال. أو ليس هذا هو السبب الذي يدفعك إلى الزواج، أي رغبتك بالحصول على ممتلكات والدتك وحاجتك إليها؟».

عاد ينظر إلى السيارات التي تمرّ قربهما، وانتظر ريثما لم تعد تمرّ سيارة، فأجاب: «أنا لم أفتقر يوماً إلى المال، ولكنني أريد المال الذي تركته لي أمي في وصيتها. بالمقارنة بما أجنيه حالياً، يعدّ هذا المبلغ زهيداً، ولكنها أرادتني أن أحصل عليه، ولن يستطيع أحد منعي من ذلك».

شعرت من نبرة صوته بأنه يخفي شيئاً، وأنه يلمح إلى زوج والدته. تمنّت لو أنها تعرف المزيد عن طفولته، عن مدى حزنه لوفاة والدته وهو لا يزال صغيراً، وشعوره بعدم الأمان لكونه يعيش في منزل لا يمتّ ساكنوه إليه بصلة قرابة. إلاّ أنها لم تصرّح له بما يجول في خاطرها، فهي لا تريده أن يعتقد بأنها تكن له مشاعراً، أو تكترث لأمره.

قالت له: «أنت تقترف خطأ جسيماً بربط نفسك بي، لن ينتج أي شيء جيد عن هذا!».

- ما رأيك لو أننا ننتظر ونرى؟

وتسمّرت عيناه على عينيها، فاضطرّت لأن تشيح بنظرها بعيداً ذلك أنها بدأت ترى أشياء لا تريد رؤيتها. مدّت يدها إلى مقبض الباب وقالت: «شكراً لأنك أقليتني!».

اقترب منها ليفتح لها الباب، فتراجعت بسرعة إلى الخلف، ما إن لامست ذراعه جسمها. شعر كونور بانقباضها ورأى كيف أنها تراجعت إلى الوراء، فسألها بعد أن حدّق إليها للحظات طويلة.

- ياسمين، هلاّ أجبتني عن سؤال؟

استدارت تواجهه: «ما الأمر؟».

انتظر بضع ثوانٍ ثمّ قال: «أخبريني شيئاً، هل وافقت على الزواج بي

نزولاً عند رغبة والديك، أم بسبب رغبتي بالمطالبة بممتلكات أمي؟».

ما عساها تقول؟ إنها تريد الزواج به لأنها ترغب بذلك؟ يستحيل أن تقدم على مثل هذا الاعتراف أمامه! الحقيقة هي أنها تريد الزواج به لشخصه فقط، ولكنها تجهل السبب. فهو يزعجها، ويربكها، ويثير غضبها كما لم يسبق لأحد أن فعل. ولكن جزءاً منها يشعر بالانجذاب نحوه، كما لو أنه وحده يملك مفتاح سعادتها.

ضحكته تسحرها، لمسته تشعلها، وعيناه اللتان تلمعان بشغف تقيدان قدرتها على التفكير بطريقة سويّة. ولكن لا يمكنها أن تدعه يعرف تأثيره عليها، يجدر بها إخفاء هذا مهما كان الثمن.

- لا أملك مشاريع أفضل أقوم بها!

ارتسمت شبه ابتسامة على ثغره، وقال: «ياسمين باپرن، ما عساي أفعل بكِ بحق السماء؟».

- لا أعرف.

- أنا أعرف.

قلّص المسافة التي تفصل بينهما، ووضع ذراعه حول كتفيها وقرّبها منه. رفعت ياسمين نظرها إليه، وراح قلبها يخفق بقوة وهي تشعر بأنفاسه الناعمة تقترب من وجهها.

بالكاد تمكّنت من الكلام: «ماذا؟».

- تعرفين ماذا.

قال هذا وضمها إلى صدره بقوة.

لم تشأ أن ينتهي هذا العناق أبداً. راحت تفكّر بالطريقة التي ستدعوه فيها للصعود إلى شقتها، عندما أنهى عناقه لها، ونظر إليها مبتسماً ثم قال: «سأتصل بك غداً!».

مدت يداً مرتجفة إلى مقبض الباب، وتمكّنت أخيراً من فتحه. جرّت نفسها خارج السيارة. ووقفت خارج السيارة مشدوهة، كمراهقة تعود من

موعدها الغرامي الأول.

- ادخلي، هيا. سأنتظر ريثما تصبحين بأمان داخل المنزل ثم أغادر.

استدارت وقطعت المسافة القصيرة حتى الباب، وهي تقاوم جاهدة كي لا تهرع إلى السيارة وترجوه أن...

- ياسمين!

تسمّرت في مكانها لسماعه يناديها. استدارت بسرعة، وقد شعرت ببصيص أمل يلوح في الأفق. وإذا به يقول بنبرة لم تفقه معناها: «نسيت حقيبة يدك».

سارت نحو السيارة محاولة لمّ أشلاء كبريائها، وتناولت حقيبة يدها منه.

- شكراً.

لكنه لم يقل شيئاً.

عادت نحو المدخل وفتحت باب المنزل ودخلت، ثمّ أغلقته وراءها من دون أن تنظر إلى الخلف.

وقفت خلف الباب تستمع إلى صوت محرّك سيارته، وهي واثقة من سماعها صوت ضحكته يدوّي في الليل. تباً له!

٤ . أنا لا أغار!

حدّد موعد الزفاف نهار الجمعة المقبل.

في طريقها إلى منزل والديها، راح غضبها يتصاعد تجاه والدها، لأنه قبل الهبة التي قدّمها كونور للجمعية. أرادت أن تصبّ جام غضبها على كونور لأنه اقترح الأمر، ولكنها أدركت في قرارة نفسها أنها مستاءة من والدها لقبوله هذا الاقتراح.

لدى وصولها، نظرت إليها والدتها بارتياب. سألتها فرانسيس بابرن عابسة: «هل أنتِ واثقة من أنكِ تعرفين ما الذي تفعلينه؟».

- طبعاً، أعلم ماذا أفعل.

وتساءلت إن كان ردّها هذا صادقاً.

- ولكن يا عزيزتي، إنه... إنه...

قاطعها والدها وقد عيل صبره: «هيا قوليها يا فرانسيس، إنه متقلّب المزاج ومقامر».

- وأنا فتاة جامحة. نحن ثنائي رائع إذن!

لطالما وجد والدها أن الحوار معها صعب. والآن وجد صعوبة في تقبّل سخريتها، فهزّ رأسه، ونظر نحو السماء طلباً للعون.

صاحت والدتها: «بحقّ السماء يا إلياس!».

- لا بأس يا أمي. أفهم قلقك، ولكن المسألة باتت متعلقة بي وبكونور فحسب.

نظرت الأم القلقة إلى زوجها وابنتها، وقالت بتردد: «ياسمين..!».

قاطعها والدها: «لا... فرانسيس... دعي الأمر».

- ولكن يا إلياس، عليها أن تعلم في وقت من الأوقات.

- إن كنت تلمحين إلى الهبة التي قدّمها كونور إلى الجمعية، فقد عرفت بأمرها.

ورمت والدها بنظرة ساخرة، فأشاح بنظره بعيداً بانزعاج.

- إلياس...

بدا صوت والدتها مخنوقاً، وعلا الشحوب وجهها.

راحت ياسمين تنظر تارة إلى وجه أمها وطوراً إلى وجه أبيها، وقد شعرت بانقباض في معدتها لملامح التوتر البادية على وجهيهما وهما يتبادلان نظرات قلقة.

سألت: «ماذا يجري؟».

أطبق والدها على شفتيه بإحكام، فاستدارت نحو أمها وقد تضاعف قلقها: «أمي؟».

- لا شيء، أنا أتصرّف بسخافة ليس إلاّ. لقد حصلت زيجات كثيرة خلال عام واحد.

قال لها والدها بنبرة يستخدمها كلّما تطرّق إلى موضوع جدّي: «ياسمين، كل ما أريده، أنا ووالدتك، هو أن تكوني سعيدة. ولكن ميلك إلى التسرّع قد سبب لنا دوماً القلق».

ردّت بنبرة ملؤها المرارة: «لكنني في الرابعة والعشرين، وقد حان الوقت لأتحمّل نتيجة أعمالي من دون تدخلّكما».

تبادل والداها نظرة قلقة أخرى، فسألت ياسمين بغضب: «ما خطبكما؟ أنتما تتصرّفان بغرابة!».

لجأت والدتها إلى أسلوب الكلام الهادىء: «عزيزتي، نحن لا نتصرّف بغرابة. نحن نتوق لنراك تعيشين سعيدة مع السيد... أعني مع كونور، أليس كذلك يا إلياس؟».

كان والدها يحمل بيده مسوّدة العظة التي كتبها، والتي كان يتدرّب عليها قبل أن تقاطعه زوجته وابنته.

- سأكون في غرفة الطعام.

قال هذا وخرج مغلقاً الباب خلفه. نظرت ياسمين إلى أمها.

- أمي؟

- لا تقلقي بشأن والدك، إنه قلق بسبب السينودوس ليس إلاّ.

تنهدت ياسمين: «أفهم هذا يا أمي، أفهم حقاً».

- لا، لا تفهمين، فهذا صلب المشكلة، أنتِ لا تفهمين!

وغادرت والدتها الغرفة... وقفت ياسمين تحدّق إلى الغرفة التي دخلتها لتوّها، ورأسها يدور في دوّامة من الشكّ والخوف.

مرّ بها كونور نهار الإثنين الذي سبق الزفاف. كانت قد عادت لتوّها من العيادة بعد قضائها يوماً متعباً للغاية، إذ عاد أحد مرضاها المتماثلين للشفاء إلى الطريق معرضاً نفسه للانحراف من جديد.

لم تكن في مزاج يسمح لها بمناقشة أمر الأعراس، أو الحفلات، أو أي شيء آخر. قالت وهي تضع المفتاح في القفل: «ماذا تريد؟».

لحق بها إلى شقتها، وأمسك بحقيبة يدها قبل أن ترميها جانباً باستهتار.

- هل عرفتِ يوماً شاقاً في العيادة؟

قال هذا وهو يعلّق حقيبة يدها على ظهر أقرب كرسي.

نظرت إليه بحدّة، وخشيت أن تطلق العنان لغضبها وتنهار كطفل صغير. فمنذ لقائها الأخير مع والديها، شعرت وكأنها تقف على حافة الهاوية، وبأن تغيراً جذرياً سيطر على حياتها، تغيراً دائماً ومؤلماً في الوقت عينه.

- لِمَ جئت؟

- اشتقتُ إليكِ.

شدّت على أسنانها: «ليتك لا تسخر مني طيلة الوقت».

- أنا لا أسخر منكِ، بل أقول الحقيقة. اشتقت إليك فعلاً اليوم.

- رأيتني منذ ثلاثة أيام.

- أحبّ أن أراكِ كل يوم.

حدّقت إليه سائلة: «ولِمَ هذا؟ كي تجري كشفاً يومياً على البضاعة، وتتأكد من أنهم لم يخدعوك؟».

رماها بنظرة تحذير جدية، لكنها تخلو من القسوة، قبل أن يسألها: «لِمَ أنت غاضبة؟».

- أنا غاضبة من كل شيء.

جلس على حافة الأريكة القديمة وقال: «كلامك غامض بعض الشيء، وواسع النطاق أيضاً. هلاّ حدّدت أكثر ما تقصدين؟».

أوشكت ياسمين أن تجهش بالبكاء، وكرهته لأنه فعل هذا بها. أدارت ظهرها نحوه لتواجه الستائر البنية اللون، ثم قالت بصوت مهزوم: «عاد أحد مرضاي إلى الشارع أمس، ونحن نعجز عن إيجاده».

- إذن، كيف تعرفين أنه عاد إلى الشارع؟

استدارت تنظر إليه: «عرفنا من مصدر موثوق أنه فعل ذلك حوالى منتصف ليلة أمس، ومنذ ذلك الحين لم يره أحد».

- هل بحثتم عنه في محل إقامته؟

تنهدت بحزن: «لا يعيش في مكان محدّد، وأحياناً يقيم في المنازل المخصّصة للمشردين، ولكن...».

- يصعب على المرء أن يصدّق أنه في عالمنا هذا، مازال بعض الناس يختارون العيش في الشوارع.

- المسألة ليست مسألة خيار. عائلة أوسكار طردته من المنزل وهو لم يبلغ الرابعة عشرة بعد! كان زوج والدته يسيء معاملته، ووالدته امرأة سيئة. كان يعيش في الشارع قبل ثلاث سنوات من تعرفنا إليه، والبدء

بمعالجته ليتخلص من حياة الانحراف.

- وهل نجحتم في ذلك؟

تنهدت مجدداً: «وافق على الخضوع لبرنامج إعادة التأهيل، لكنه يخزّن الكثير من الغضب في داخله، وكلّما شعر بالإحباط يعود إلى حياة الشارع».

- أنت تهتمين حقاً لأمر هؤلاء الأشخاص؟.

رفعت رأسها لسماعها سؤاله، وأجابته: «نعم».

- إذن، فأنت تعملين إلى جوارهم بشكل شبه مجاني على أمل أن تغيري العالم. أليس كذلك؟

حاولت البحث عن علامات الانتقاد على وجهه، لكنها لم تجدها. فردّت قائلة: «أنا لا أحتاج إلى الكثير من المال».

- ألا تتمنين الحصول على ما حصلت عليه أخواتك؟

أزعجها سؤاله، إلا أنها قالت: «أكملت أخواتي تعليمهنّ، أما أنا فلم أفعل، وقد وجدت صعوبة في إيجاد عمل».

- ولِمَ لم تنهي تعليمكِ؟

- لِمَ تطرح عليّ كل هذه الأسئلة؟ ألم تقرأ في الصحف كيف كدت أقضي على مستقبل روي هولدن التعليمي؟ لست بحاجة إلى سماع القصة مني مرة أخرى.

- على العكس، فأنا أودّ كثيراً سماع القصة منكِ.

ازداد غضبها لأنه أحرجها ووضعها في موقف مماثل.

- إنها قصة قديمة. قصة فتاة مثيرة للاهتمام في السادسة عشرة من عمرها، قضت الكثير من الوقت مع واحد من أساتذتها. لقد ضُبطنا في وضع مثير للشبهات، بحسب قول الشاهدة. فتمّ نقله إلى مدرسة أخرى، وضاع مستقبله المهني.

- وماذا عنكِ؟

أخفضت بصرها وقالت: «تركت المدرسة في اليوم ذاته. لم أستطع تحمّل نظرات المكر والهمسات، فتركت المدرسة».

- ولِمَ تستمرين في معاقبة نفسك بعد مرور هذا الوقت كلّه؟

نظرت إليه مجدداً، وأجابت: «أنا لا أعاقب نفسي!».

- كنت طفلة يومها، ولم يكن يفترض بأحد أن يعاملك على أنكِ مذنبة، في حين أن روي هولدن هو المذنب.

ردّت بقوة: «لم يكن روي هولدن مذنباً، فهو لم يقترف أي سوء!».

نظر إليها كونور للحظات طويلة، قبل أن يقول: «إذن، تحمّلت وزر المسؤولية كاملاً!».

أشاحت بنظرها بعيداً: «الذنب ذنبي!».

- تميل المراهقات إلى المغازلة، إنه أمر طبيعي!

- نحن لم نتغازل. كنت... أحب الاستماع إليه. فقد كان مثقفاً، ويجعل الكتب التي نطالعها واقعية وقريبة من حياتنا. لم أحظَ يوماً بأستاذ مثله. فمنذ اللحظة الأولى التي نظر فيها إليّ، شعرت وكأن جزءاً مني قد عادت إليه الحياة و...

أيقنت فجأة أنها تكشف عن الكثير من مكنونات صدرها، وقرّرت أن تلزم الصمت. ترى لِمَ يجعلها كونور هاروسميث تتحدث باستفاضة عن نفسها؟

سألها بعد صمت طويل: «وما كانت ردة فعل والديك عندما انتشرت قصة علاقتك بهولدن؟».

جلست على الكرسي المقابل له: «صدما كثيراً، لا سيّما أمي، فقد عانت من صداع حاد طيلة ثلاثة أيام. أمّا أبي فانهال عليّ بوابل من العظات، قائلاً إن الفتيات الملتزمات لا يسعين وراء الشهوات الحسّية كلّما أتيحت لهنّ الفرصة».

- ولكنكِ لم تفعلي هذا. أعني، أنكِ لم تسعي وراء الشهوات

الحسّية.

شعرت ياسمين بوجنتيها تحمران خجلاً.

- طبعاً، لكن ليس مع روي هولدن.

- ولكنني أرى بأن زواجنا سيضع حداً نهائياً للشائعات.

عضت ياسمين على شفتها، وقالت: «حدث هذا منذ زمن بعيد، منذ ثماني سنوات. في الواقع، أجهل لما يهتمّ الناس بهذا الموضوع إلى هذا الحدّ بعد مرور تلك المدة كلّها!».

- والدك مطران، وما يفعله أي فرد من أفراد عائلته هو موضوع مناسب للشائعات والثرثرة. فلو كان والدك بائع حليب، لما اكترث أحدهم لكلّ هذا.

- أظنك محقاً.

فجأة، هب كونور واقفاً، ثم قال: «هيا بنا! فلنذهب لتناول وجبة طعام سريعة، ثمّ ندور على المنازل التي قد يرتادها ذلك الشاب».

تناولت ياسمين حقيبة يدها من حيث وضعها كونور سابقاً، ولحقت به نحو الباب، وهي تشعر بمزيج غريب من المشاعر نحوه. باستثناء ثود زميلها في العمل، فهي لا تعرف رجلاً واحداً مستعداً لتخصيص الوقت والتوجّه إلى ضواحي المدينة بحثاً عن شخص غريب لا يعرفه.

تصرفه هذا جعلها تراه من منظار مختلف تماماً. تراجعت كراهيتها له كثيراً، إلى حدّ أنها لم تعد تشعر بها. وشعرت بالخوف بسبب ذلك.

بعد التجوّل في الطرقات حوالى ساعة من الوقت. توقفا قرب مقهى صيني صغير في شاينا تاون لتناول الطعام. راحت ياسمين تتناول طعامها بصمت، متجنبة النظر مباشرة إلى عيني كونور. وبعد مرور بضع دقائق من الصمت، سألها: «هل أنتِ قلقة بشأن نهار الجمعة؟».

- ولِم عساي أقلق؟ فنحن لن نقدم على زواج حقيقي، بل مجرّد رسميات بغية حصولنا على مبتغانا. فأنا أريد التخلص من والديّ، وأنت

تريد الحصول على ميراث أمك.

حدّق إلى وجهها للحظات طويلة قبل أن يقول: «أرغب تماماً بأن يكون هذا الزواج زواجاً حقيقياً، وأنتِ تعرفين هذا».

رفعت ذقنها إلى الأعلى، وقالت: «بالكاد يمكنك إرغامي على هذا!».

أما هو فارتسمت شبه ابتسامة على ثغره.

- لن أرغمك على شيء، إلاّ أنني أجيد بعض الحيل التي من شأنها إحداث التأثير المطلوب، فهي لم تخذلني في السابق.

شعرت بالخجل وهي تتخيله برفقة عدد كبير من النساء.

- أظنك ستخيّب آمال الكثير من النساء، وقد عقدت العزم على ترك حياة العزوبية.

- لستُ بالقدر الذي تظنينه، ولكن هناك ما يكفي لجعلك تغارين!

- أنا لا أغار

جاء إصرارها دليلاً واضحاً على شعورها بالغيرة، وعرفت من بريق عينيه أنه كشف أمرها.

- طبعاً لا.

أسند كونور ظهره إلى الكرسي، وراح يراقب ملامحها بدقّة ثمّ أردف: «إذاً يتعيّن عليكِ أن تهتمي لأمري كي تشعري بالغيرة عليّ، أليس كذلك؟».

ومن دون أن تجيب، تناولت بضع حبات من الأرز من صحنها وأكلتها مستخدمة العيدان. سألها بعد برهة: «كم شاباً عرفتِ في حياتكِ؟».

- ليس بالقدر الذي تظنه، ولكن عدداً كافياً لجعلك تغار!

ردّت عليه بالعبارة التي سبق أن استخدمها منذ لحظات، فالتمعت عيناه ببريق التسلية وقال: «يا له من ردّ سريع، لقد أثرت إعجابي!».

- لم أكن أردّ عليك، بل أقول الحقيقة. فما من رجل يطمح إلى سماع التفاصيل عن العلاقات السابقة لزوجته.

- لا أظن هذا. فأنا أهتم كثيراً لمعرفة كافة التفاصيل المتعلقة بك.

علا الاحمرار وجهها، فأشاحت بنظرها بعيداً كي لا يلاحظ ارتباكها. سبق أن عرف الكثير عنها، ولن يفيدها الظهور بشفافية تامة أمامه، فكبرياؤها لا تسمح بهذا.

حضر النادل لأخذ الصحون، فشعرت بالارتياح إذ لم تعد مضطرة للإجابة. بعدئذٍ تناولا التحلية، وبعد أن دفع كونور الحساب، وقف وأخذ بيدها وقادها إلى الخارج.

- هيا بنا. والآن، أين سنذهب لنبحث عن أوسكار؟

سارت ياسمين بجواره في شوارع دارلينغ هورس، وكينغز كروس. كانت تتوقف من وقت إلى آخر لتتحدث إلى شخص ما تعرفه ثم تعاود السير وهي تشعر تماماً بذراع كونور تطوّقها.

لم يكن أحد يعلم مكان أوسكار، وحتى لو كانوا يعلمون، فلم يخبرها أحدهم بذلك. سارا ذهاباً وإياباً في الشوارع المأهولة وغير المأهولة. حتى إن كونور شعر بالاحباط عندما جاء شخص منحرف وحاول مضايقتها.

وبسرعة، قادها كونور إلى الشوارع المضاءة، ووقف معها تحت أحد المصابيح ونظر إليها عابساً، ثم قال: «أريدكِ أن تعديني بألاّ تأتي إلى هنا بمفردك أبداً، أتعديني؟».

نظرت إليه ورأت العزم في عينيه فقالت: «لا تكن سخيفاً، فهذا الرجل هو ريجي، وهو غير مؤذٍ على الإطلاق».

قال وهو يقودها إلى سيارته: «لا يهمني هذا، فهذا المكان غير آمن حتى بالنسبة لرجال الشرطة، فكم بالأحرى للمواطنين العُزّل».

سألته تحاول إغاظته: «هل أنت خائف؟».

نظر إليها عابساً، ولكنها عرفت من نظرته أنه ليس غاضباً منها.

- بالطبع لست خائفاً، ولكنني لا أحبّ فكرة تجوّلك بمفردك بين هؤلاء الأشخاص.

ردّت بنبرة جدية: «أنهم أشخاص مثلي ومثلك يا كونور، كل ما في الأمر هو أنهم أقدموا على خيارات خاطئة. فكلّ شخص منا قد ينتهي به الأمر إلى الانحراف إذا ما مرّ بالظروف عينها التي مرّ بها هؤلاء الأشخاص».

نظر إليها بتمعّن للحظات طويلة، ثمّ تنهدّ قائلاً: «بالطبع، أنت على حق».

وأمسك بيدها، ثم تابعا السير نحو السيارة.

شعرت ياسمين بشيء غريب في كلامه، كما أنه لو خَبِر في مرحلة من المراحل ظروفاً صعبة، لكنه تمكّن من التخلص منها. وأدركت أنها لم تسأله شيئاً عن عائلته، فأنبّها ضميرها. فمعظم الأحاديث المتعلقة بالعائلة تمحورت حول عائلتها وحدها. سألته عندما عادا إلى السيارة: «ما كان اسم والدتك؟».

نظر إليها لبرهة قبل أن يدير محرّك السيارة: «ايلين».

- هل تذكرها؟

- قليلاً.

- ما هي الأمور التي تذكرها عنها؟

- ما هذا؟ لِمَ هذا الاهتمام المفاجيء؟

شبكت ذراعيها وقالت: «أحاول إجراء حديث ليس إلاّ، فأنت تطرح عليّ الكثير من الأسئلة الشخصية، ولا أرى سبباً يمنعني من طرح مثل هذه الأسئلة عليك».

ردّ بعد فترة من الصمت: «توفيت والدتي منذ حوالى ثلاثين عاماً، ولا أرى داعياً لذكرها الآن».

- آسفة.

- اسمعي، قصة عائلتي ليست مفرحة، إذ قضيت طفولتي وأنا أناضل للبقاء، ولم أستطيع الانتظار طويلاً لمغادرة المنزل».

- وماذا عن فين؟ ألم تكونا مقرّبين يوماً؟

ضاقت عيناه قبل أن يجيبها: «فين ليس أخي، إنه ابن جوليان وهارييت. لا تربطنا علاقة دمّ، ولا أظن بأن يوماً مرّ عليّ من دون أن يذكرني والداه بهذا».

- لابدّ أنك شعرت بالكثير من الوحدة.

- لم أشعر بالوحدة أكثر منكِ.

- ماذا تقصد؟

- لابدّ أن العيش مع أخوات معصومات عن الخطأ لم يكن بالأمر السهل.

- لم يكن الأمر سيئاً طيلة الوقت.

- ما من حاجة لذلك. فكونك مختلفة عنهن هو صعب بما يكفي.

شعرت ياسمين بالتوتر وسألته: «ماذا تعني بقولك هذا؟

نظر إليها مجدداً، فرأى يديها الصغيرتين مكورتين في حضنها، ونظرة القلق بادية في عينيها الزرقاوين. حدّق إلى جسمها النحيل وهي تجلس مستقيمة على المقعد.

- قلتُ لك في السابق إنك لا تشبهين أفراد أسرتك، فهل يقلقك هذا الأمر؟

ردّت بسرعة: «أنا فتاة مشاكسة تعيش وسط عائلة ملتزمة، هذا اختلاف كبير بحدّ ذاته».

- إذن، كنت أنت الخروف الأسود بين خراف بيضاء!».

- نعم، إنها صورة ملائمة تماماً.

حاولت التحدث بنبرة مرحة لتخفي انزعاجها من أسئلته المباشرة.

فاجأها ردّه مجدداً حين قال: «هذا أفضل، هذا أفضل».

فتحت ياسمين فمها لتجيب، ولكنها لمحت بطرف عينيها وجهاً مألوفاً عند الزاوية، فصاحت: «أوقف السيارة!».

- ماذا؟ هنا؟.

أوقف كونور السيارة فخرجت مسرعة منها.

راقبها تختفي في ظلام زقاق، فركن سيارته بسرعة على قارعة الطريق، آملاً ألاّ تحتجز الشرطة السيارة لمخالفته قانون السير، مع أن الساعة قاربت الواحدة بعد منتصف الليل.

وجدها في آخر الزقاق، تحتضن شاباً صغيراً تفوح منه رائحة قيء. سألها: «هل أستدعي سيارة اسعاف؟».

هزّت رأسها: «إنه بخير، لكنه يعاني من بعض الانزعاج».

ساعدها على إنهاض الشاب. وسألها: «إلى أين نذهب الآن؟».

- علينا أخذه إلى العيادة.

- هل نقلّه في سيارتي.

خشي أن يعاود الصبي إخراج ما في معدته على المقاعد الجلدية لسيارته.

أمسكت ياسمين بذراع الصبي وأسندته إليها: «طبعاً، في سيارتك، إلاّ إن كنت لا تريد القيام بذلك».

شعر وكأنها تمتحنه، فقال: «بالطبع، سنقلّه في سيارتي، هيا بنا!».

أمسك بذراع الصبي الأخرى وقاده إلى سيارته المازيراتي الجديدة، التي لم يمض على شرائها أكثر من ثلاثة أشهر.

لم تكن العيادة بعيدة. حيّاها رجل ضخم الجثة بحرارة: «مرحباً يا فتاة. إذن لقد وجدته!».

سلمت ياسمين الصبي الذي كان يتمتم كلاماً غير مفهوم، فأجلسه الرجل إلى كرسي وأسند رأسه.

- سأستدعي الطبيب ليفحصه ويصف له العلاج اللازم.

- شكراً، رانجي.

وابتسمت له، ثم استدارت نحو كونور وعرّفت الرجلين إلى بعضهما البعض: «رانجي، أقدّم لك كونور هاروسميث».

تصافح الرجلان وضحكا لنكتة قالها كونور.

راقبت ياسمين هذا اللقاء باهتمام بالغ. ومع أنها كرهت أن تعترف بالأمر، ولكن تبيّن لها أن كونور يتصرف تماماً كما توقعت. فهو لا يتصرّف كالأثرياء، ويرتاح للحديث مع مختلف أنواع الناس، بدءاً من رجال الاكليروس كوالدها، وصولاً إلى الفتيان المشرّدين، وأولئك الذين يعتنون بهم أمثال رانجي. وما إن تظّن أنها فهمته حتى يقدم على تصرّف ما أو يقول عبارة ما تفاجئها تماماً.

سألهما رانجي: «أترغبان بتناول فنجان من القهوة أو ما شابه؟».

- شكراً لك، ربما في مرة أخرى. لقد عرفت ياسمين يوماً شاقاً، وأنا عليّ أن أسافر غداً باكراً.

مدّ رانجي يده ليصافح كونور قائلاً: «ما من مشكلة. عد مرة أخرى وسآخذك في جولة في المكان».

- أود ذلك كثيراً.

ابتسم كونور، وأمسك بيد ياسمين وقال: «هيا يا عزيزتي، دعيني أوصلكِ إلى المنزل».

انتظرت ريثما خرجا وسألته: «إلى اين تسافر غداً صباحاً؟».

قرّبها منه عندما مرّ بهما ثنائي غريب. امرأة ترتدي حذاء عالي الكعبين وبجوارها رجل يغني بصوت مرتفع.

- سأسافر إلى «بيرت» ليومين ثمّ إلى «أديلايير». ولكن لا تقلقي، سأعود قبل يوم الزفاف.

حزنت لأنها ستمضي بقية الأسبوع بمفردها، فقد اعتادت وجوده

بقربها إلى حدّ أنها باتت تتوق للقياه.

سألها وهما يقفان أمام السيارة: «هل من أحد تودّين دعوته إلى الزفاف؟».

هزّت رأسها نفياً: «قلت لك في السابق، لا أريد ضيوفاً ولا مصوّرين».

- وماذا عن الأصدقاء، أو أي قريب تحبينه؟

أشاحت بنظرها بعيداً: «أمي فتاة وحيدة، ووالدي لم يتحدث إلى أخته الصغرى منذ سنوات عديدة».

قوّس حاجبه وسألها: «مشاكل عائلية؟».

- لا أدري، فمنذ وقت طويل، يعتبر الحديث عن العمة فانيا موضوعاً محرّماً. يبدو أنها لوّثت اسم پايرن بارتكابها معصية ما.

حدّق إليها: «مثلكِ؟».

نظرت إليه بتحدّ: «نعم، تماماً مثلي!».

فتح لها الباب فانحنت تحت ذراعه لتنزلق إلى المقعد، وهي واعية لقربه منها. أما هو فلامس خصلة من شعرها، ثمّ أغلق الباب.

لزمت الصمت في طريق العودة إلى شقتها، أما كونور فظلّ ينظر إلى الطريق أمامه من دون أن ينظر ناحيتها. تساءلت ياسمين إن كان يفكّر بزواجهما المرتقب بعد أربعة أيام، وإن كان متردّداً أم مسروراً لإيجاده حلّ يمكنّه من الحصول على ميراث أمه. لقد أمّن مستقبله الآن وتزوّج، وسيعود إلى حياة العبث التي عرفها في السابق. فهو ليس مغرماً بها، ولم يعدها بشيء، كما أنها لا تتوقّع الكثير منه. فالحقّ يقال إنها بالكاد تعرفه.

ترى ما الذي يدور داخل هذا الرأس الجميل؟ ماذا ترى في عينيه السوداوين الرائعتين؟ نظرت إلى يديه اللتين تمسكان بالمقود وارتعشت.

ماذا ستفعل هاتان اليدان بها بعد أن تضعا خاتم الزفاف في إصبعها؟

٥ ـ أحتاج إليك

لم تستغرق ياسمين سوى بضع ساعات لتوضّب أغراضها التي ستنقلها إلى منزل كونور. جلست على الكرسي، وتنهدت وهي تتأمل الصناديق الخمسة التي وضبت فيها أغراضها. لن تأخذ أغراضها القليلة مساحة في منزل كونور، لكنها رفضت أن تشعر بالخجل. لقد اختارت العيش ببساطة، ولن تذهب الآن لشراء الكثير من الأغراض لمجرّد أنها ستتزوج بفرد من عائلة هاروسميث.

كان كونور قد أعطاها مفتاحاً إضافياً للمنزل، وأوكل شركة نقل بنقل أغراضها. إلاّ أن ياسمين ألغت الشاحنة التي طلبها كونور واستدعت سيارة أجرة.

عندما وصلت مع أغراضها في سيارة الأجرة، كانت تلك المرة الأولى التي ترى فيها المنزل. سُرّت لأن كونور مسافر، فهكذا تستطيع التجوّل بارتياح داخل المنزل علّها تتعلّم شيئاً عن ذلك الرجل الغامض الذي ستتزوّج به بعد أقلّ من أربعة أيام.

بدا المنزل كبيراً، ولكنه ليس بالغ الفخامة لا من حيث الضخامة ولا الديكور. أدخل سائق سيارة الأجرة الصناديق إلى بهو المنزل، وما إن خرج حتى أغلقت الباب وراءه، وبدأت التعرف على المكان.

لاحظت أن البهو يقود إلى عدد من الأبواب، وقد وضعت سجادة فارسية على الأرض اللماعة. وعلّقت على الحائط ساعة كبيرة تعمل بانتظام، أما في آخر البهو فهناك سلم يقود إلى الطابق العلوي.

توجهت ياسمين نحو الباب الأول وفتحته، فإذا بها تجد غرفة جلوس كبيرة، تتسم بالأناقة، فيها مقاعد مريحة، وإنارة خفيفة، وستائر بلون الكريما تغطي النافذة العريضة. على الأرض اللماعة انتشرت بعض السجادات الفارسية.

بعدئذٍ، توجهت إلى الباب الثاني، فوجدت طاولة سنديان طويلة، وكراسي محفورة بعناية ودقّة. كانت جدران غرفة الطعام مطلية باللون الأخضر القاتم، والستائر نحاسية اللون ذات أطراف ذهبية.

أما المطبخ فلم يبدُ كبيراً، لكنه مدهون باللون الأبيض، ما منحه اتساعاً ورحابة، ولم تغفل ياسمين عن الأدوات الكهربائية العديدة الموضوعة فيه.

تجوّلت في الطابق السفلي. نظرت إلى الحمامات المزينة بذوق رفيع. وصلت إلى الغرفة الصغيرة التي تقود إلى الحديقة الغناء التي زرعت فيها مختلف أنواع الأشجار، وقد اكتست حلة الخريف الحمراء والذهبية.

تركت الطابق السفلي وتوجهت إلى الطابق العلوي. كانت كلّما اقتربت من غرفة النوم الرئيسية، كلّما تضاعف توتّرها. ومع أنها تعلم أن كونور مسافر ولن يأتي ليجدها في غرفة نومه، إلا أنها شعرت باضطراب شديد وهي تفتح باب غرفته، وكأن عيناه السوداوان تراقبانها من على بعد مئات الكيلومترات.

وجدت في غرفته سريراً كبيراً عليه غطاء بلون الكاراميل. وقد غطّت سجادة كبيرة الأرض بشكل شبه كامل، كاشفة عن مساحة صغيرة تظهر من خلالها الأرض الخشبية.

هناك باب إلى اليمين يقود إلى حمام الغرفة. رغبت بأن تتأكد من وجود مناشف رطبة على الأرض، ولكنها قاومت رغبتها هذه. رأت باباً آخر يقود إلى خزانة واسعة، إلاّ أنها عجزت عن المقاومة هذه المرّة،

فدخلت وراحت تنظر إلى ثيابه المعلّقة في صفوف مرتّبة.

كان الأمر أشبه بتواجدها معه في غرفته، حتى إنها استطاعت أن تشمّ رائحة عطره الرجولي، وهو مزيج من عطر ما بعد الحلاقة ورائحته الرجولية.

ومن دون أن تعرف السبب، مدت يدها ولمست قميصاً من قمصانه، قربت كمّ القميص من وجهها، تتنشّق عطره، وتتخيّل ذراعه حولها و...

- أتبحثين عن مكان تعلّقين فيه ثيابك؟

سمعت صوته مباشرة خلفها، استدارت بسرعة كبيرة فوقع القميص الذي تحمله من يدها.

- ظننت... أنك لن ترجع قبل الغد!

أدركت أن وجهها احمرّ كثيراً لأنها شعرت بالحرّ الشديد، كما لو أن أحدهم أشعل مدفأة داخل الخزانة.

- ألغي الاجتماع في أدلايد في اللحظة الأخيرة.

نظر إلى القميص المرمي أرضاً والتمعت عيناه ببريق التسلية. انحنت ياسمين تلتقطه وأصابعها ترتجف، ثمّ تمكنّت من تعليقه مع بقية القمصان.

- أغراضي... في... الأسفل. لم أعرف... أين تريدني أن أضعها.

لم تستطع قراءة تعابير وجهه بسبب الضوء الخافت في الخزانة. وشعرت بالانزعاج بسبب المساحة الضيّقة، فتسارع تنفسّها فجأة.

- ثمة الكثير من الأماكن هنا. ضعي فيها ما يمكنك وضعه، وسأطلب من مدبرة منزلي أن تفسح لك مزيداً من الأمكنة في الجوارير.

راح كونور يرتب ثيابه، فاستغلت ياسمين الفرصة لتخرج من الخزانة. لحق بها وعندما نظر إليها لاحظ أنها تعضّ شفتها السفلى. سألها: «أتمانعين أن تشاركيني خزانة ملابسي؟».

- لا، أعاني من مشكلة في مشاركتك سريرك!

- ولكن، أليس هذا ما يفعله المتزوجون؟

تردّدت قليلاً ثم قالت: «ولكن... زواجنا لن يكون كبقية الزيجات!».

- وكيف هذا؟

- لا أريد تعقيد الأمور بممارسة علاقة زوجية حقيقية معك.

- اسمعي يا عزيزتي، ستتعقّد الأمور أكثر إن لم تفعلي!

- يبدو الأمر بارداً جداً... فنحن أشبه بالغرباء، ولا يكنّ أحدنا المشاعر للآخر.

- لست واثقاً من هذا، فأنا أشعر بشيء نحوك.

نظرت إليه ببرودة، قائلة: «عدت تسخر مني من جديد. لا يعقل أن تشعر بغير الرغبة الجسدية تجاهي، وأنا أحتقرك لهذا!».

لمعت عيناه الداكنتان وقال: «أحقاً؟».

- نعم، أحتقرك لأنك استغليت... اقترافي غلطة صغيرة، وسمحت للأمور بأن تصل إلى هذا الحدّ. لو أنك قلت كلمة واحدة، لذهب الصحافيون المتعطشون للأخبار المثيرة إلى مكان آخر، ولكن لا، سمحت لهم برميي إلى الحضيض.

- ربما يستحسن بي أن أخبرك بأنني عاجز عن السيطرة على أقوال الصحافيين وأفعالهم. فقد لاحقوني ما إن وصلت إلى بيرث، وكان الأمر أشدّ سوءاً عندما نزلت من الطائرة في ماسكوت منذ حوالى ساعة.

- ولِمَ يفعلون هذا؟

- يبدو أن زواج زير نساء من ابنة مطران خبر يثير اهتمام القرّاء. يريد كل صحافي مقابلة حصرية، وإن كنت لا تصدقين كلامي، فكلّ ما عليكِ القيام به هو النظر من النافذة.

عبست ياسمين، وتردّدت للحظات طويلة دقيقة، ثمّ توجهت نحو النافذة ونظرت إلى الأسفل. لكنها سرعان ما تراجعت إلى الخلف.

- آه يا إلهي! لابدّ أن هناك أكثر من عشرين صحافياً ها هنا!

- أعلم. وقد قلت لتوي لكلّ واحد منهم بأن يذهب إلى الجحيم.

جلست على حافة سريره ولوّحت بيديها قلقة: «ما عسانا نفعل بهذا الشأن؟».

خلع سترته وتوجه نحو الخزانة يبحث عن علاّقة.

- لا شيء، حتى يوم الجمعة. أظن بأنهم سيتركوننا وشأننا ما إن ينتهي الزفاف.

نظر إليها مباشرة وقال: «ثقي بي يا ياسمين، سيحلّ زواجنا هذه المسألة بشكل نهائي».

وتساءلت ياسمين إن كان ما يقوله صحيحاً. صحيح أن زواجهما سيضع حداً لاهتمام الرأي العام بهما، ولكنه سيخلّف لهما مشاكل خاصة، وأول هذه المشاكل هو غموض مشاعرها نحوه.

كيف عساها تخفي مشاعرها؟ كيف عساها تبتعد عندما ينبذها كونور ويعلن أنه لم يعد بحاجة إليها، كما سيحصل بشكل أكيد في المستقبل القريب؟ كيف ستتقبل الأمر؟

تسمّرت في مكانها عند طرف السرير، وراحت تراقبه وهو يفرغ حقيبته، وتشبع نظرها منه ومن رؤية جسمه المليء بالعضلات وهو ينحني ليأخذ شيئاً عن الأرض.

استدار فجأة ورآها تنظر إليه، فأضاءت ابتسامة ساحرة عينيه.

- أيعرف والداك أننا سننام معاً حتى يوم الجمعة؟

نظرت إليه ببرودة، وقالت مدافعة: «لن ننام معاً».

- أعني في المنزل نفسه.

- لا تكن سخيفاً.

ثم وقفت وتوجّهت نحو النافذة لترى إن كان الصحافيّون قد غادروا المكان، وقد أدارت ظهرها لابتسامته.

- لا أستطيع البقاء، محتجزة هنا حتى نهاية الأسبوع، لا أستطيع.

شعرت به يتجه نحوها ويقف خلفها، بحيث غدا قريباً للغاية منها.

انقطعت أنفاسها عندما مدّ يده وأبعد الستارة ليتمكّن من الرؤية بنفسه. وبعد لحظة عادت الستارة إلى مكانها، واستدار كونور واضعاً يديه على كتفيها وراح ينظر إليها، ثم قال لها مطمئناً: «أوشك الصحافيون على المغادرة. بعد حوالى نصف ساعة، سيحلّ الظلام، وسوف نتمكن من الخروج لتناول الطعام بهدوء في مكان ما».

شعرت وكأنها تغرق في سحر عينيه، وكأن دفأه يغمرها ويخترق قماشة قميصها وصولاً إلى جسمها. شعرت بقوة يديه، وبجسمه يقترب منها بشكل حميم بالرغم من ابتعاده عنها.

قطع رنين الهاتف سحر اللحظة، ولم تعرف ياسمين إن كان يفترض بها أن تشعر بالراحة أو بالانزعاج.

- الاتصال لكِ.

ناولها الهاتف فأخذته بيد ترتجف: «مرحباً».

- ياسمين أنا ثود. قالت لي والدتك إنني أستطيع إيجادكِ على هذا الرقم. نحتاجك في العيادة. فأني، تلك المرأة التي كنت تعملين معها، تلك التي لديها ولد، تسأل عنك منذ نحو ساعة. لم أستطع التخلص منها، كما أن ابنها يصرخ ويبكي من دون توقف. لم تحضر كاسي إلى العيادة لأنها مريضة، ورانجي في المستشفى منشغل بمعالجة شخصين حاولا الانتحار. فهل تستطيعين الحضور؟

نظرت إلى كونور هاروسميث، وشعرت بنوع من الدفء الذي لم تتوقعه عندما رأته يمدّ يده ليأخذ مفاتيح سيارته عن المنضدة.

- سأحضر حالما أستطيع.

قالت هذا وأقفلت السماعة.

* * *

توقف كونور بجانب العيادة ونزل من السيارة ليفتح لها الباب. سألها وهي تنزل: «متى تظنين أنكِ ستنتهين؟».

- لست واثقة.

- اتصلي بي وسأحضر لأقلّك.

- قد يكون الوقت متأخراً.

لم ترفع بصرها وهي تخاطبه كي لا يلاحظ مدى شعورها بالامتنان نحوه. لامس وجهها بيده الرجولية.

- اتصلي بي ياسمين، عديني بأنكِ ستفعلين.

شعرت بأنفاسها تتقطّع وهي تنظر إليه.. وقالت: «أعدك».

أحنى رأسه وطبع على رأسها قبلة مختصرة. ومن دون أن يتفوّه بكلمة إضافية، تراجع إلى الخلف واتجه نحو مقعد السائق في سيارته.

وقفت ياسمين أمام العيادة فيما توجّه كونور بسيارته نحو الطريق العام. تسمّرت مكانها تصغي إلى صوت محرّك سيارته وتراقبه يختفي.

وضعت إصابعهاعلى شعرها حيث طبع القبلة. وبعد لحظات، أسدلت يدها وتنهدت وهي تستدير لتدخل إلى العيادة. ولكن وبعد مرور ساعات، كانت كلّما مررت يدها على رأسها تستعيد ذلك الاحساس بالدفءالذي غمرها قبل ساعات.

كانت آني تولوك تحتضن صغيرها النائم عندما دخلت ياسمين المكتب. بدا واضحاً أنه لم يمضِ وقت طويل على استغراق الطفل بالنوم نظراً للدموع التي ما زالت بادية حول عينيه. وبدا واضحاً من خلال نظرات المرأة أن هذه القضية لن تكون سهلة.

قالت المرأة قبل أن تغلق ياسمين باب المكتب: «أنا لا أتعاطى شيئاً إن كان هذا ما تفكرّين به!».

تناولت ياسمين كرسياً وجلست بالقرب من المرأة، وهي تلمس ذراعها النحيلة مشجعّة.

- لم أكن أفكّر في شيء. أعلم مدى تصميمك من أجل جايك. لقد أبليت حسناً حتى الآن. أنا فخورة جداً بكِ.

ترقرقت الدموع في عيني المرأة الشابة وهي تنظر إلى ابنها.

- سيخرج وايد من السجن... أعلم أنه سيأتي بحثاً عنّا... أعلم هذا.

تنهدت ياسمين بألم. فسجل وايد إيغرت حافل بحالات العنف المنزلي، وقد تمّ توقيفه ثلاث مرّات، وهي لا تستبعد البتة عدم مبالاته لتوقيفه للمرة الرابعة.

- وماذا عن ملجأ النساء؟ ستكونين بأمان هناك لبضعة أيام ريثما تخبرك الشرطة بتحرّكاته؟

- جئت لتوي من هناك. إنهم أغبياء، وما من مكان لتنام فيه، حتى لو افترشنا الأرض.

- وماذا لو حاولنا في منطقة أخرى، سأجري اتصالاً هاتفياً سريعاً علّني أجد مكاناً لكِ ولجايك.

حتى أثناء قيامها بالاتصالات عرفت ياسمين أنه ما من أمل كبير في الوصول إلى مبتغاها. فالملاجىء قليلة وبعيدة للغاية. فبسبب الميزانية الضئيلة التي تخصّصها الحكومة للشؤون الاجتماعية، لا يملك الأشخاص أمثال آني وجايك الكثير من الأمل في إيجاد ملجأ ملائم. كمل أن تاريخ آني السيء ولون بشرتها الأسود يصعّبان الأمور أكثر فأكثر. ممّا يجعل دم ياسمين يغلي لعدم قدرتها على تحقيق العدالة.

بعد أن أجرت ثمانية اتصالات هاتفية، وضعت ياسمين سماعة الهاتف باشمئزاز. وراحت تنقر بأصابعها على المكتب لدقيقة، ثمّ تناولت سماعة الهاتف بسرعة وطلبت رقماً.

- أبي؟

- آه، ياسمين؟ أستطيع معاودة الاتصال بكِ بعد حوالى نصف ساعة،

فنحن في اجتماع صلاة. سنتهي بعد حوالى نصف ساعة.

صرّت على أسنانها قائلة: «لا، لا تزعج نفسك».

وضعت سماعة الهاتف ونظرت إلى المرأة المتعبة الجالسة قبالتها.

قالت لها وهي تنهض عن كرسيها: «هلاّ عذرتني لدقيقة، عليّ إجراء مكالمة هاتفية خاصة، لن أستغرق وقتاً طويلاً».

أومأت آني وهي تنظر إلى ابنها النائم وقد ظهرت سمات التعب على مختلف أعضاء جسمها.

استخدمت ياسمين هاتف غرفة الاستقبال واتصلت بكونور. أجاب بعد الرنة الثانية: «هل انتهيت بهذه السرعة؟».

لاحظت بأن صوته يبدو مرحاً بالرغم من أن الوقت متأخر. لكنها عادت وفكرت بأنه مرتاح من دون شك، يجلس في مكتبه بارتياح وربما يستلقي باسترخاء على الأريكة الجلدية في حين أنها منهمكة في الاتصالات وغارقة في الروتين الإداري.

- لا، أظنني سأبقى هنا الليل بطوله.

- هل أستطيع مساعدتك في شيء؟

- نعم، إن كنت تستطيع إيجاد مأوى لأم وطفلها لبضعة أيام.

- أما من مكان في المأوى؟

- لم أجد مكاناً شاغراً في أي مكان.

- وماذا عن الفنادق؟

- تعجز مريضتي عن إطعام ولدها، فكيف ستتمكّن من دفع إيجار غرفة في الفندق؟

- وماذا عن ملجأ النساء؟

- لقد اتصلت بكافة الملاجىء في المنطقة، إنها ملأى.

ساد الصمت لبعض الوقت، وشعرت ياسمين فجأة بالاحراج لكونها اتصلت به. لم تفهم لِمَ فعلت هذا باستثناء أنها رغبت فجأة بسماع صوته.

قطع صوته حبل أفكارها: «دعي الأمر لي، سأتصل بكِ بعد نصف ساعة. موافقة؟».

- لست مضطراً إلى التدخّل، فهذه مشكلتي لا مشكلتك.

- إذاً لِمَ اتصلت بي؟

- أنا...

أعطاه تردّدها كافة الأجوبة التي احتاجها، فقال: «هيا اعترفي يا ياسمين، اتصلت بي لأنكِ بحاجة إليّ».

على الرغم من ميلها إلى نكران الأمر، فكرت ياسمين أنه اقترب من الحقيقة أكثر مما تصوّر.

-أستطيع حلّ المشكلة بنفسي. لقد اتصلت لأعلمك بأنني لن أعود إلى المنزل. وذلك كي لا تقلق عليّ أو تنتظرني.

سمعته يضحك، فتابعت: «أنا أعني ما أقوله يا كونور».

- آه، بالطبع!

- سأنهي الاتصال.

- هيا، افعلي.

- ولا تعاود الاتصال بي لأنني منشغلة.

- لن أفعل.

تردّدت في إنهاء الاتصال، وقالت: «ولن أعود هذه الليلة».

- حسناً.

- ألا تمانع؟

- ولِم عساي أمانع؟

- ولكنني... ظننت.

www.elromancia.com

- اسمعي يا عزيزتي. بعد أقل من ثلاثة أيام، ستمضين كل ليلة في سريري. أعلم أن الأمر صعب، ولكن بالطبع يمكننا الانتظار.

- ليس هذا ما عنيته.

ضحك كونور مجدداً: «طبعاً لا».

- اذهب إلى الجحيم!

- أنا في طريقي إلى هناك. فهذا ما أخبرني به والدك منذ مدة قصيرة.

- لا أظن بأن الجحيم سيكون حاراً كفاية بالنسبة لك.

- لن يكون كذلك ما لم تكوني معي!

فتحت فمها لتجيب لكن كونور أنهى الاتصال. حدّقت إلى الهاتف لدقيقة وهي تقاوم رغبتها بمعاودة الاتصال، حتى يكون لها الكلمة الأخيرة، ولكن صوتاً صادراً من مكتبها ذكّرها بمسؤولياتها.

استدارت آني في كرسيها عندما جلست ياسمين.

- هل وجدت مكاناً لنا؟

مدّت يديها نحو الصبي الذي استيقظ لتوّه من النوم، وقالت: «ليس بعد، ولكنني أعمل على الأمر».

توقف الطفل عن البكاء عندما ضمته ياسمين إلى صدرها. راحت تداعب شعره المجعد وتتنشق رائحته العذبة.

- آني، هل فكّرت بالاتصال بوالدتك؟

- ولِم عساي أفعل هذا، فقد تخلّت عني عندما كنت في الرابعة، أي نوع من الأمهات هي؟

- أفهم شعورك، لا سيّما أنك الآن أمّ، ولكن منذ بضع سنوات لم تكن الأمور سهلة بالنسبة لأم تربي طفلها بمفردها.

- وهي ليست سهلة الآن.

- أعلم هذا، ولكن والدتك قد فعلت ما ظنّته مناسباً يومها. لا يمكنك أن تلوميها لأنها حاولت منحك فرصة أفضل.

ردّت آني بعزم: «أستطيع أن أتدبّر أموري بمفردي، فعلت هذا منذ كنت في الرابعة عشر من العمر».

تنهدت ياسمين. فآني حالة من أصعب الحالات التي عالجتها. كلما خطت خطوة إلى الأمام، حصل معها شيء وتراجعت ثلاث خطوات إلى الخلف. لقد حذّرها ثود من التورّط إلى هذا الحدّ. حدّثها عن البعد المهني وما شابه، ولكن ثمة أمر ما في آني تولوك جذب ياسمين إليها منذ اللحظة الأولى للقائهما. لم تكن تعلم ما الذي يربكها إلى هذا الحدّ في هذه المرأة. فمعظم الأولاد الذين تعمل معهم يعانون حالات مماثلة، وبالرغم من هذا تعلّقت بآني كثيراً وبشكل غريب. أمسك جايك الصغير بخصلة من شعر ياسمين وراح يشد بها.

- مرحباً أيها الصغير! ألا تعلم أنه لا يفترض بك أن تعامل السيدات بهذه الطريقة! لا يفترض بك ذلك أبداً.

قال ذلك صوت مألوف عند الباب. استدارت ياسمين لترى كونور واقفاً هناك وهو يحمل بيد كيساً من الطعام وباليد الأخرى صينية عليها مشروبات ساخنة.

سأل وهو يدخل الغرفة: «أيرغب أحد هنا بشرب القهوة؟».

بدا واضحاً من النظرة التي ارتسمت على وجه آني عندما وضع كونور كيس الطعام أن وقتاً طويلاً قد مضى على تناولها طعاماً.

- أحضرت بعض الدجاج للصغير.

وتناول العلبة الصغيرة وناولها إلى ياسمين، ثم استدار نحو آني وقال: «أنا كونور، خطيب ياسمين».

اتسعت عينا آني قبل أن تنظر إلى ياسمين: «ستتزوجين؟».

قدّمت ياسمين الدجاج إلى جايك قبل أن تجيب: «نعم، نهار الجمعة».

قالت آني وهي تتناول البطاطا المقلية: «ظننتك لا تؤمنين بالزواج».

ابتسم كونور: «لقد غيّرت رأيها مؤخراً. أليس كذلك يا عزيزتي؟».

نظرت ياسمين إليه بحدة قبل ان تقدّم لجايك قطعة دجاج أخرى.

قال كونور: «لقد وجدت لكما منزلاً».

صاحت آني وياسمين في الوقت عينيه: «أحقاً؟».

- إنه مكان غاية في الأمان. لقد قضت بيريل هوبر العشرين عاماً المنصرمة في الاعتناء بأشخاص بحاجة إلى المساعدة. ولا يغرنّك مظهرها ولون شعرها. فهي تملك حزاماً أسود في كافة الفنون القتالية. ولا يمكن لأحد أن يتجاوزها إن لم تسمح له بذلك.

- لا أعرف حقاً ماذا أقول!

أما ياسمين فسألته: «وأين تعيش هذه المرأة؟».

- في الجبال الزرقاء. ولكن سرعان ما ستحضر إلى هنا، فهي تزور أصدقاء لها في المنطقة، لكنني تمكّنت من اقتفاء أثرها قبل أن تغادر.

قالت ياسمين: «ولكن ثمة إجراءات عليّ القيام بها. يفترض بنا الحصول على براءة ذمة من الشرطة، وما إلى هنالك من الأمور».

مدّ كونور يديه وحمل الفتى الصغير، ثم قال: «افعلي كل ما تريدينه فيما أجلس هنا مع صديقي ونتناول البطاطا المقلية».

تناولت ياسمين الهاتف وحاولت تجاهل مدى شعورها بالراحة مع الطفل.

وبعد مرور بعض الوقت، دخل ثود مكتبها ليعلن وصول بيريل هوبر التي سرعان ما وضعت آني وجايك في سيارتها وانطلقت بهما.

وقفت ياسمين بجوار كونور عند الباب، وراحا يراقبان سيارة المرأة المسنّة تختفي في الظلام.

شعرت بأنه ينظر إليها فاستدارت تواجهه، والتقت عيونهما في ظلام الليل.

- شكراً لك على ما فعلته هذه الليلة.

- لا شكر على واجب.

نظرت إليه تتأمله: «كيف التقيت بيريل هوبر؟».

قال مبتسماً ابتسامة عميقة: «كانت صديقة والدتي. كانت بمثابة حائط دعم لي في حياتي، تساندني كي لا أبتعد عن الطريق الصواب».

- لقد بذلت جهداً كبيراً إذاً.

نظر إليها للحظات طويلة من دون أن يتكلّم، ثم قال: «تبدين مرهقة».

تنهدت لشدة التعب وأخفضت بصرها قائلة: «أنا كذلك».

وضع يده حول كتفيها وتناول مفاتيحه من جيبه، ثم قال: «هيا بنا! لنضعك في السرير».

لم تكن ياسمين قادرة على مناقشته حول السرير الذي تودّ أن تنام فيه. ما إن جلست في السيارة حتى أسندت رأسها إلى الخلف، وأغمضت عينيها محاولة عدم التفكير بلمسة يديه على كتفيها، وبأصابعه الطويلة القوية التي تمسك بالمقود. بعد دقائق توقف أمام المنزل. وضع يديه حول كتفيها فاقتربت منه.

فتح كونور الباب وأفلتها وهو يضع مفاتيحه على الطاولة. سألها وهو يخلع سترته: «أترغبين بشرب شيء ما قبل النوم؟».

وقفت ياسمين متردّدة، غير واثقة ممّا يريده منها، فما كان منه إلا أن لمس خدّها بيده قائلاً: «أيتها الحسناء النعسة، اذهبي للنوم!».

- ولكن...

وضع إصبعه على شفتيها، وقال: «عمت مساء ياسمين».

استدارت واتجهت نحو السلالم، فتسلقتها بتعب كما لو أنها تشارك في سباق. قال كونور ما إن وصلت إلى أعلى السلالم: «سأكون في غرفة النوم الإضافية إن احتجت إلي».

استدارت نحوه، أرادت أن تقول له بأنها لا تحتاجه، ولكن خانتها قواها فاستسلمت وقالت: «عمت مساء».

صعدت ياسمين إلى الغرفة، وأغلقت الباب بهدوء خلفها، ولكن بعد أن صعدت إلى السرير، تساءلت عما سيكون شعورها إن نامت بقربه وشعرت بدفئه. حسناً، لم يبق سوى أيام قليلة على الزفاف.

عانقت الوسادة وأغمضت عينيها، ولكن مضت ساعات طويلة قبل أن تتمكّن من الاستسلام للنوم.

عندما استيقظت في صباح اليوم التالي، وجدت رسالة صغيرة من كونور يخبرها فيها بأنه اضطرّ إلى المغادرة بسبب حدوث مشكلة في العمل في بريسبان. أخبرها في رسالته السريعة أنه سيعود في موعد الزفاف.

٦ - غريبان في الظلام

شعرت ياسمين بالغرابة لوجودها في حفل زفاف لا يترأسه والدها بحلته الناصعة البياض وصوته الجهوري.

لم يكن مكتب كاتب العدل كبيراً، وبما أنها أصرّت على عدم حضور ضيوف، جاءت مراسيم الزفاف مختصرة وغير شخصية.

أقنعت نفسها أنها لا تمانع في ذلك، فهي ليست من النوع الذي يحب الوقوف أمام الأقارب البعيدين، مرتدية ثوباً أبيض، واضعة وشاحاً على وجهها.

سرّها كثيراً أنها ارتدت فستاناً أحمر قصيراً. فهي الفتاة السيئة في العائلة وبدا الفستان ملائماً للصفات التي ينعتونها بها.

إلاّ أنها رأت الغضب والانزعاج في عيني كونور لحظة وصولها إلى المكان. أدركت أنه يشعر بالسخط وهو عاجز عن قول أي شيء قبل أن يصبحا بمفردهما.

لم تكن في منزله ليلة أمس عندما عاد من السفر. تركت له رسالة تعلمه فيها أنها تنوي قضاء الليلة مع إحدى صديقاتها، إلاّ أنها قضت الليلة بمفردها في فندق غير فخم، تتناول الشوكولا، وتقنع نفسها بأنها لا تزال قادرة على وضع حد لكلّ ما يجري وإلغاء الزفاف. إلاّ أنها لم تلغِ شيئاً.

وهي مازالت تجهل السبب...

أرادت أن تبرّر تصرّفها بمحاولة إقناع نفسها بأنها تفعل عكس ما يتوقّع منها، ولكنها أدركت تماماً في قرارة نفسها أن هذا الكلام غير صحيح.

www.elromancia.com

عندما قال كاتب عقد الزفاف عبارة «يمكنك أن تعانق العروس»، لم تكن ياسمين مستعدة لعناق حار حميم. إلا أن عناق كونور لم يهدف إلى تثبيت الزفاف بشكل رسمي فحسب، بل أراد تذكيرها بأنها ربطت نفسها للتوّ برجل بالكاد تعرفه، برجل يمسك وحده بزمام الأمور.

ما إن غادرا مكتب كاتب العدل، حتى واجههما حشد كبير من الصحافيين وهما يتجهان نحو السيارة. أخفضت ياسمين رأسها واختبأت وراء كونور، وراحت تشقّ طريقها بصعوبة على أدراج قصر العدل وهي ترتدي حذاء عالي الكعبين.

أخيراً وصلا إلى السيارة، فيما استمرت عدسات آلات التصوير تلتقط الصور لهما حتى بعد أن انطلق بالسيارة.

ساد بينهما صمت ثقيل إلى أن وصلا إلى الطريق العام.

- آمل أن يكون لديك تفسير منطقي لهذا!

- لست مضطرة إلى شرح تصرّفاتي أمامك.

- ربما أنت لست مضطرة. ولكن هل فكّرت بما ستكون ردّة فعل والديك عندما يريانك تظهرين في الصحف غداً مرتدية فستاناً أحمر مثل فتيات الشارع؟

لم تفكّر ياسمين في عائلتها على الأطلاق، وشعرت بالامتعاض منه لذكره هذا الأمر.

- لا أملك مجموعة كبيرة من الثياب، واسمح لي بأن أعلمك بأن هذا الفستان هو أفضل فستان لديّ.

نظر إليها بغضب ثم حوّل نظره إلى الطريق أمامه.

- لِمَ لم تقولي شيئاً بهذا الخصوص بحق السماء؟ لكنت تدبّرت أمر إحضار بعض الثياب لكِ، فأنا قادر على تحمّل هذه المصاريف.

- ظننت أن هدفك الوحيد هو إتمام هذا الزواج بأقل خسائر ممكنة.

- أتعلمين شيئاً؟ أنت امرأة معقدة للغاية.

كتفت يديها حول صدرها واتخذت وضعيّة الدفاع ثم قالت: «لم تكن مضطراً إلى الزواج بي حتى تدرك هذا الأمر».

قطعت ضحكته جوّ التوتر بينهما.

- أظنك محقة، لم أكن مضطراً إلى ذلك.

- ولِم فعلت هذا إذاً؟

نظر إليها متأملاً قبل أن يجيب: «بدت الفكرة ممتازة يومها».

نظرت إليه بتحدٍ: «والآن؟».

- والآن، لقد أعددنا سريرنا، كما يقال، وسنذهب لننام فيه.

رأت في عينيه وعداً، وبالرغم من عدم معرفتها به عن كثب، إلاّ أنها أدركت أنه سيفي بوعده.

لم يتجه كونور نحو الضواحي الشرقية، فنظرت إليه ياسمين متسائلة: «إلى أين نذهب؟».

- أريد أن أريكِ شيئاً، طلبت من مدبرة منزلي أن تحزم لك حقيبتك.

لم تعرف ما الذي أثار غضبها أكثر، سماحه لمدبرة منزله التي لا تعرفها بأن تعبث بأغراضها، أم عدم إطلاعها على خطته لعطلة نهاية الأسبوع.

قال، قبل أن تتمكّن من معاتبته: «تأتي ماريا إلى المنزل مرتين في الأسبوع. إنها لا تجيد الإنكليزية تماماً، ولكنها تعرف كيف تخبرني بألاّ أترك مناشفي المبلّلة على أرض الحمام».

- كان باستطاعتي أن أوضّب حقيبتي بنفسي، فأنا لا أحبّ أن يعبث الآخرون بأغراضي.

- لا تملكين الكثير من الأغراض. ولكن عندما نعود إلى المدينة سأحرص على تصحيح هذا الأمر.

- إن كنت تظن بأن شراءك ملابس جديدة لي من شأنه تغيير شيء، فأنصحك بمعاودة التفكير بالأمر. إن أردت الحصول على ثياب جديدة

سأشتريها بنفسي.

- وكيف ستفعلين هذا؟

- أملك بعض المال. طبعاً ليس بالقدر الذي تجنيه أنت، ولكنني قادرة على تدبير أموري.

- تعيشين كالفقراء المعوزين... لِمَ تصرين على ذلك؟ هل تحاولين أن تجعلي الفرق بينك وبين عائلتك يبدو جلياً أكثر؟

شعرت ياسمين بالتوتر، وقالت مدافعة: «لا أفعل شيئاً من هذا القبيل. كلّ ما في الأمر هو أنني لا أرى ضرورة لشراء الملابس الباهظة الثمن، في حين يعيش الكثير من الأولاد في الشوارع من دون مأوى ولا ملبس أو مأكل».

- حسناً، لو امتنع هؤلاء الأولاد عن صرف المال على الأشياء التافهة ورفاق السوء لوجدوا مكاناً يبيتون فيه أو طعاماً يأكلونه!

رمته بنظرة باردة: «يا لك من متعجرف! ولدت ومعلقة الذهب في فمك اللعين هذا!».

- حذارِ ياسمين!

- أتعرف، أمثالك من الناس يثيرون اشمئزازي. لم تضطر يوماً إلى التفكير بشأن وجبة الطعام التالية، وبالرغم من هذا تتجرّأ وتنتقد الأشخاص الذين لا يملكون شيئاً، وليس لديهم أهل يحبّونهم...

توقفت عن الكلام ما إن أدركت ما الذي قالته لتوّها. لقد فقد كونور أمه وهو في الرابعة من عمره، ومع أنه لم يكن مضطراً إلى التضوّر جوعاً، إلاّ أنه نال نصيبه من الحرمان العاطفي.

تمتمت: «آسفة... ما كان عليّ قول هذا... لم أفكّر قبل أن أتكلّم».

ردّ من دون أن ينظر إليها: «انسي الأمر... فقد نسيته».

ضغط بقوة على دوّاسة الوقود فتجاوز أربع سيارات. نظرت ياسمين

إليه، فرأت تعابير وجهه غامضة، ولاحظت بأنه يشدّ يديه بقوة على المقود. جعلها ذلك تشعر بالمزيد من السوء.

جلست صامتة وراحت تتساءل كيف عساها تقدّم له المزيد من الاعتذارات.

اعتادت من قبل على رؤيته متزعجاً لا غاضباً، ما جعلها تدرك أنها تجهل الكثير عنه. تمنّت لو تعود سام من شهر عسلها بسرعة كي تطرح عليها بعض الأسئلة عنه، فلابدّ أن زواجها من شقيقه يمنحها بعض المعلومات حول طباعه.

بعد مرور حوالى نصف ساعة من الصمت، بدأت ياسمين تدرك إلى أين يصطحبها، إلى «بيليكان هاد». مرّ بالقرب من منزل صديقة والدتها متابعاً سيره إلى أن وصل إلى منزل من الطراز الفيكتوري، في نهاية الطريق. لقد رأت ياسمين هذا المنزل في السابق، وتخيلت أنه مأهول، وأن النوافذ العريضة تراقب كل من يقترب من المنزل. لم تتخيل يوماً أنها قد تدخل هذا المنزل برفقة زوجها، وتأتي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع فيه.

قال كونور: «سأحمل أغراضنا إلى الداخل، أتودّين إلقاء نظرة على المكان بمفردكِ؟».

كيف عرف أنها ترغب بالبقاء لوحدها لبعض الوقت؟

- حسناً...

قالت هذا من دون أن تنظر إليه، ثم خلعت حذاءها ذا الكعبين المرتفعين وانتعلت حذاء خفيفاً جعلها تشعر بالارتياح أكثر.

أخذ كونور الحقائب وتوجّه إلى المنزل، أما ياسمين فقد وقفت مكانها تتنشق الهواء العليل. كانت الشمس تغيب خلف أشجار الكاوتشوك وترسل خيوطاً ذهبية على الشرفة المسيّجة بسياج حديدي.

ابتعدت عن المنزل واتجهت نحو الخليج الصغير حيث بدأ صوت المياه والنسيم يخفّفان من توتّر أعصابها.

انحنت ومرّرت أصابعها على النبات الندي واستطاعت تنشّق رائحة التراب الرطب، وهي رائحة مختلفة تمام الاختلاف عن رائحة دخان المدينة.

هذا يومها الأول في الحياة الزوجية!

استقامت وراحت تحرّك الخاتم في إصبعها وتساءلت إن كان سيبقى في مكانه فترة كافية ليترك أثراً على إصبعها.

يا لها من طريقة غريبة للزواج! حفل زفاف سريع لإرضاء ذويها وتأمين حصول كونور على الميراث، ناهيك عن وضع حدّ للشائعات التي تطال سمعتها. أسباب هذا الزواج غريبة... ولكن، أوليس كل ما في حياتها غريباً؟ فهي تشعر بنفسها كأنها غريبة في عائلتها، وتشعر بالغموض حيال ذلك. شعرت طيلة حياتها بأن شيئاً ما ينقصها، وكأن حياتها أحجية لم تكتمل كافة أجزائها بعد.

كان الظلام قد حلّ عندما شقّت طريقها نحو المنزل القديم.

لاحظت أن كونور قد أضاء الأنوار، مما خفّف من وطأة الخوف الذي كانت تشعر به حيال هذا المنزل. في الواقع، كان يساورها شعور، كلما مرّت أمام هذا المنزل، بأن هناك من يراقبها من خلال نوافذه الواسعة. سيطر عليها هذا الشعور طيلة السنوات الماضية. أما الآن فبدا المنزل القديم حيّاً، كما لو أنه ينتظر منذ سنوات مجيء أحدهم ليبعث الحياة فيه.

هزّت رأسها وصعدت السلالم وصولاً إلى باب المدخل. ما إن فُتح الباب في وجهها حتى خافت، وأوشكت أن تتعثّر وتقع من أعلى السلالم.

قال كونور: «تبدين وكأنكِ رأيت شبحاً».

أخفت ياسمين إحراجها بالسخرية.

- أنا لا أؤمن بالأشباح.

أرادت أن تتجاوزه، لكنه مدّ يده قاطعاً الطريق عليها: «ألا يفترض بي أن أحملك وأدخلك المنزل؟».

وجهت إليه نظرات حادّة: «وألا يفترض بكَ أن تحبني وتحترمني حتى يفرّق الموت بيننا؟».

ظلت تعابير وجهه غامضة، ولم تتمكن من فهمها، إلا أنه أخفض يده قبل أن يقول: «ما اشعر به تجاهكِ ليس موضوع النقاش. المهمّ هو ما تشعرين به حيال نفسكِ».

حدّقت إليه للحظة من دون أن تتكلّم، ثمّ تراجعت إلى الخلف واختبأت وراء درع السخرية كعادتها، وقالت: «بالرغم من أننا سنتدم على هذا، فأنت زوجي، ولست المحلّل النفسي الذي يتولى تحليل مشاعري».

- في هذه الحالة، يستحسن بي أن أحملك إذاً.

ومن دون سابق إنذار، حملها كونور ودخل بها إلى المنزل.

راحت تصرخ بحدّة: «أنزلني!».

- سأنزلك عندما أريد. والآن توقفي عن الحراك وإلاّ أوقعتك أرضاً.

- لا أريدك أن...

وقطعت كلماتها فجأة عندما ضمها إلى صدره بذراعيه القويتين وعانقها بقوة، ما جعل الزمن يتوقف من حولهما.

توقفت ياسمين عن الشجار معه، وبدأت شجاراً ذاتياً داخل نفسها. حاولت السيطرة على نفسها تحت تأثير عناقه الدافىء. اجتاحتها مشاعر الشوق، وراح الدم يتدفق بقوة في أنحاء جسمها كلّها. وراح قلبها يخفق بسرعة عندما داعبت أنفاسه أسفل عنقها.

استعرت مشاعر الشوق في داخلها.. إنها تتوق إليه.. وتشبثت به كما لو كان حبل النجاة الذي تحتاجه لتعوم في بحر من المشاعر.. بحر يهدّد بجرفهما مع تياره. فجأة، أبعد كونور وجهه عنها ففتحت عينيها

لتجده ينظر إليها وقد ظهرت في عينيه تساؤلات عديدة.

لم تستطع النظر إليه أكثر.

وضعها على الأرض، فأبعدت نفسها عنه، تاركة بعض المسافة بينهما. إلا أنها لم تستطع التفكير بطريقة سوية وهو ما زال يضع يديه حولها. فكرت في سرّها كيف تراها ستمضي عطلة نهاية الأسبوع برفقته من دون ان تفضحها أحاسيسها، فقد اشتعلت الرغبة فيها من مجرد عناق صغير جعلها تتوق إليه توقاً مؤلماً.

استدارت تنظر إلى داخل المنزل، وارتسمت على وجهها ابتسامة ساخرة. سألته وهي تنظر إلى صدع في الحائط: «ماذا تنوي أن تفعل بهذا المنزل؟».

- أملت أن تساعديني في هذا.

- لا أعرف شيئاً عن الديكور الداخلي!

- لكنكِ تعرفين هذا المنزل.

استدارت تواجهه قائلة: «لم أطأ عتبته قبل هذا اليوم.

رفع حاجبه: «هذا ليس بتصرف ودّي من قبلك، فأنتما جيران».

- اسمع، أنا آتي إلى هذا المكان كي أهرب من الناس وأبقى بمفردي، لا لأقيم علاقات اجتماعية مع من يسكن هنا. على أي حال، يبدو أن من سكن هذا المنزل في السابق هو شخص مهمل.

- ألم تشعري بالرغبة في المجيء إلى هنا، وإلقاء نظرة على المكان؟

-لا، ولِمَ عساي أفعل هذا؟ فعلى خلاف بعض الأشخاص، أميل إلى احترام رغبة الناس بالبقاء بمفردهم!

- ولكن لابدّ أنكِ تساءلت من تراه يعيش هنا؟ ظننت أن النساء فضوليات بطبعهنّ.

انزعجت ياسمين من سؤاله. صحيح أنها أرادت معرفة هوية ساكني هذا المنزل، ولكن حاجتها إلى الوحدة منعتها من التقصّي أكثر. لقد مرّت

قرب المنزل مرّة أو اثنين لتبحث عن أي دليل على وجود أشخاص، ثم استأنفت طريقها نحو الخليج الصغير.

- كلّ ما أعرفه هو أن ساكن هذا المنزل لم يكن ملمّاً بصيانة المنازل.

- نعم، يبدو المكان مهملاً قليلاً، ولكنني أعتبر إعادة إصلاحه بمثابة تحدٍّ.

واتجه نحو رفوف الكتب حيث كدّست الكتب التي يعلوها بالغبار. تناول كتاباً لتوماس هاردي ونفخ عنه الغبار.

- عرفت أن المكان بحاجة إلى بعض العناية، ولكنني انجذبت إلى الوحدة التي يقدمها.

التقت عيونهما، إلا أن ياسمين شعرت بأن اتصالاً أكثر عمقاً من هذا حصل لتوّه. أدركت فجأة أنها لا تعرف شيئاً عن طبيعة عمله، وعن المشاكل التي يواجهها.

فباستثناء ما سمعته عنه من فين وسام وما قرأته في الصحف، يبقى كونور مجهولاً تماماً بالنسبة لها.

- هل تستمتع بعملك؟

شعرت بالرضى من الطريقة التي طرحت فيها السؤال، فهو يدلّ على اهتمام من دون أن يظهر رغبة بمعرفة التفاصيل.

وضع كونور الكتاب جانباً وأزال الغبار عن يديه.

- إنه يسدّد الفواتير، ويراكم غيرها، تماماً كغيره من الأعمال.

- هذه حال الأعمال.

- وماذا عنكِ؟ أتنوين الانتقال إلى عمل يتطلب منك وقتاً أقلّ ودواماً محدّداً؟

- لا!

جاء ردّها حاداً ومقتضباً، فنظر إليها متأملاً.

ابعدت نظرها عن نظراته الثاقبة، وراحت تتفحّص رفوف الكتب. ثم

تناولت نسخة من قصائد ميلتون، وراحت تتصفّح صفحاتها الصفراء.

سألته: «ما الذي دفعك إلى شراء هذا المنزل؟».

سمعته يتنهّد. إلاّ أنها لم تنظر إليه، بل وضعت الكتاب بحذر مكانه.

- أعجبني غموض المكان، فالغموض يسحرني.

فجأة، خفت الأضواء، ثم اختفت، لتعود من جديد خلال ثوانٍ قليلة. ارتعشت ياسمين، واستدارت تنظر إليه.

سألها وقد ارتسمت على ثغره شبه ابتسامة: «هل انتِ خائفة؟».

- طبعاً، لا!

وما هي إلا لحظات، حتى سمع دويّ رعد، وظهر الخوف على وجهها بوضوح.

اتسعت ابتسامته، وقال دون مبالاة: «يبدو أن هناك عاصفة قادمة».

راقب تغيّر تعابير وجهها، ثمّ تابع قائلاً: «لا تخافي، سوف أحميكِ».

لا حاجة بها إلى إخباره بأن أكثر ما تخشاه ليس العاصفة بل هو، فقد علمت أنه عرف هذا من اتساع حدقتي عينيها.

حبست أنفاسها وهو يلمس خدّها بيده: «لا تخافي يا ياسمين».

- لست خائفة، ولكنني لا أحبّ العواصف.

- ما الذي لا تحبينه بالتحديد، أهو الرعد أم البرق؟

- لا أحب العواصف لأنها تأتي بصورة غير متوقّعة. لا تعرف متى ستضرب، وأين.. يظن المرء أنها تزمجر في مكان بعيد، وفجأة، تقترب منه وتنصب كوارثها فوق رأسه.

- تماماً، كالوقوع في الحب أليس كذلك؟

- لست واثقة.. على كل حال، ما أدراك أنت بالحبّ؟ ظننت أن شعار زير النساء يقضي بعدم التورّط على الصعيد العاطفي.

ابتسم كونور ابتسامة معبّرة، وأجاب بنعومة: «يمكن لزير النساء أن

يقع في الحبّ أيضاً، وتماماً كما هي الحال بالنسبة للبرق والرعد، يأتي الحبّ ويباغته فجأة».

شعرت بالانزعاج لأن نظراته ظلت مسمرة عليها، فأشاحت إلى الأرض كأنها تتفحص الألواح الخشبية.

- كم مرة وقعت في الحب؟

أملت ألا يظهر الاكتراث في نبرة صوتها.

- لم أقع في الحب مرات عديدة حتى أكون خبيراً بالموضوع.

لم تعرف لما شعرت بخيبة الأمل حيال ردّه.

سألها ليقطع الصمت الذي ساد بينهما: «وماذا عنكِ؟».

أرادت أن ترد عليه بجواب منمّق، إلاّ أن السماء انشقت عن التماعة حوّلت الغرفة إلى شعاع أخضر. قفزت كما لو أن أحدهم ضربها من الخلف وهرعت إلى ذراعيه. ضمّها إلى صدره فيما سمع دوّي صوت الرعد قوياً كالمدافع. بقيت مسمّرة بين ذراعيه طلباً للحماية، وما لبثت أن سمعت صوتاً مدوّياً ورأت ضوءاً قوياً، سرعان ما اختفى كما لو أن أحدهم أطفأ شمعة.

أغمضت عينيها عندما سمعت صوت الرعد مجدداً.

ربّت كونور بيده على رأسها قائلاً بنبرة مطمئنة: «لا تخافي، سينتهي كل هذا بعد بضع دقائق».

قالت وهي تندس بين ذراعيه: «أصبح المكان مظلماً للغاية».

أدركت أن ما حصل يجعله يشعر بالتسلية. ثم قال: «نعم، فقد انقطع التيار الكهربائي».

- هل لديك مصباح كهربائي؟

كانت عيناه تضيئان كمصباح. وأدركت ياسمين فجأة قوته مقابل ضعفها، ممّا ذكّرها بعلاقتهما، وبالظرف الذي يعيشانه. إنهما هنا بمفردهما، بعيداً عن الناس، ومن دون كهرباء... إنها معه بمفردها في

منزل كبير يوحي لها بوجود أشباح.

- لا أملك مصباحاً كهربائياً.

- ماذا عن الشمع؟

نظرت إليه في الظلمة، فهز كونور رأسه نفياً.

- لكنني أوقدت ناراً في المدفأة، ومعي بضعة عيدان من الثقاب.

لم ترَ مانعاً من إظهار مدى ارتياحها، فاندست به أكثر قائلة بسرور: «الحمد لله، ظننت للحظة أننا في ورطة».

ساد صمت غريب، قطعه بعد لحظات قائلاً: «ولكننا في ورطة».

نظرت إليه متسائلة: «أي نوع من الورطات؟».

- هذا النوع..

قال هذا، وقرّب رأسه من رأسها يحتضنها بقوة أكبر.

٧ - لا تسخر مني!

ملأ ضوء قوي الغرفة مجدداً، ولكنه لم يترك أثراً سلبياً على ياسمين. فبعد أن ضمها كونور إلى صدره معانقاً إياها بقوة، لم تعد تهتمّ للعاصفة في الخارج بل تركزّ اهتمامها على العاصفة الجيّاشة التي تعصف في داخلها. عاصفة ملؤها الرغبة والتوق. اجتاحتها أحاسيس غريبة، لم ترد أن تشعر بها، ولكنها وجدت نفسها عاجزة عن تجاهلها. بدا الأمر وكأن قوى الطبيعة قد تحكمّت بجسمها، ودفعتها إلى التصرّف بطريقة لم تعهدها في نفسها في السابق. لامست يداها شعره الداكن، وصدرت عنها أنّات خفيفة كسرت جدار الصمت المهيمن على الغرفة، ما إن راح كونور يلامس بأصابعه عنقها وكتفيها. رفع وجهها لينظر إلى عينيها.

رأت ياسمين بريقاً غريباً يلتمع في عينيه بالرغم من حدّة الظلام.

قال لها هامساً: «سأشعل النار في المدفأة!».

أرادت أن تخبره بأنه أشعل لتوّه ناراً في داخلها؛ فقد شعرت بالحرارة تشتعل في كافة أنحاء جسمها، لكنها لم تقل شيئاً بل تسمّرت في مكانها، وراحت تراقبه وهو يبحث عن علبة الثقاب.

بعد أن وجد علبة الثقاب، انحنى يشعل النار في المدفأة التي سرعان ما توهّجت، ما أوحى لها بأنه قام بمثل هذا العمل مئات المرّات، في أماكن مختلفة ومع مئات النساء.

اتجه كونور نحوها، لكنها استبقت الأمر ووقفت خلف الأريكة. فالنار المشتعلة خلفه جعلته يبدو أكثر ضخامة وأشد تهديداً وهو يقترب

منها وقد تسمّرت عيناه عليها.

سألها بلهجته الساخرة المألوفة: «أتودين القيام بمناورة؟».

تراجعت ياسمين إلى الخلف فيما استمّر بالأقتراب منها، فدارت مرة أخرى حول الأريكة. قالت له بحدّة عندما حاول مرة أخرى تقليص المسافة التي تفصل بينهما: «هلاّ توقفت عن اللحاق بي كمفترس يطارد طريدته».

لم تكن واثقة من أنها لن ترمي بنفسها في أحضانه، لذا اختبأت وراء حائط من الغضب لتخفي تلهفها إليه ثم تابعت: «دعني وشأني يا كونور وإلاّ صرخت».

رفع حاجبيه وقال بنبرة ملؤها التسلية: «ومن سيسمعك برأيك؟».

- صدّقني، عندما أصرخ، يسمع العالم برمته صوتي.

- إذن، أنتِ من النوع الذي يحبّ الصراخ.

شعرت بوجهها يحمرّ خجلاً. حسناً لم يؤثر به تهديدها، فصراخها لن يصل إلى آذان الجيران.

شبكت ذراعيها حول صدرها، وتمنّت لو أنها تستطيع الوصول إلى وشاحها الذي سقط عن كتفها على الأريكة عندما تعانقا قبل دقائق.

وكما لو أنه قرأ أفكارها، مدّ كونور يده، وتناول الوشاح، وحمله بطرف أصابعه: «أتريدين هذا؟».

عضت على شفتها، وقالت: «نعم، فأنا أشعر بالبرد».

- لكن النار مشتعلة في المدفأة.

تجاهلت تعليقه وأمرته: «أعطني وشاحي!».

- تعالى وخذيه.

نظرت إليه بتحدٍ، وأخذت نفساً عميقاً، ثم توجهت نحوه، وتناولت الوشاح من يده. أدارت ظهرها ووضعته على كتفيها على قدر ما أوتيت من خفّة لأن أصابعها كانت ترتجف كالورقة. ما إن استقر الوشاح في

مكانه حتى استدارت تواجهه، وهي ترغب بالانتقام منه.

- إن كنت تظن أن بوسعك احتجازي هنا لقضاء نهاية أسبوع ملأى بالاغراءات، فعاود التفكير لأنني لست دمية بيد أحد.

- لم تخطر الفكرة ببالي أبداً.

- عدت تسخر مني، ولن أحتمل هذا.

ضحك كونور، وعاد يسوّي النار في المدفأة وهو يقول: «لا تقلقي يا ياسمين، لن أنقضّ عليكِ من دون رضاك، فهذا ليس أسلوبي!».

- لا، فأسلوبك أكثر حنكة من هذا. إنه يقضي بالتسلّل عندما تكون المرأة غير مستعدة.

- إذن، فهذه الفكرة تغرّيك. أعني، أن أقترب منكِ عندما تكونين غير مستعدة.

- لا، لا تغريني. سواء كنت مستعدة، أم لا.

أدركت أنه لم يصدّقها، فقد قرأت هذا في عينيه تماماً كما لو أنه قاله بصوت مرتفع. وعندما أصرّ على التزام الصمت تابعت تقول: «لا أهتم لإقامة علاقة عابرة».

- علاقتنا لا تسمّى عابرة، فنحن الآن متزوجين.

- ولكن هذا المكان يخيفني!

- إنه منزل قديم ليس إلاّ. ما إن ننتهي من تصليحه، حتى يصبح منزلاً مريحاً جداً.

لم تبالِ لكلامه، بل استدارت تتفقّد الأثاث. ومن حسن حظّها، أنها وجدت مكتباً صغيراً منحوتاً بطريقة جميلة، وهو في حالة جيدة مقارنة بحالة المنزل.

جاء صوت كونور من وراءها: «هذه قطعة جميلة، اشتريتها في مزاد علني منذ بضعة أيام».

أعجبت ياسمين بذوقه لكنها لم تطلعه على رأيها.

- اشتريت بضعة أشياء أخرى، سيتمّ توصيلها نهار الثلاثاء.

استدارت تنظر إليه، وهي تقول: «أتنوي البقاء هنا حتى يوم الثلاثاء؟».

- إنها فترة قصيرة بالنسبة لشهر عسل، ولكن ظننت أننا بحاجة إلى أكثر من ليلتين لنتعرف على بعضنا البعض.

- نحن بحاجة إلى دهر. هذا إن شعرت بالرغبة أصلاً بالتعرّف إليك.

- أظن بأنك ستكونين قد تعرّفت إليّ تمام المعرفة، قبل أن نغادر هذا المكان.

- لا أريد أن أتعرّف إليك. فأنت لا تعجبني.

- أنتِ لا تحبين أحداً، بما فيهم أنا، لأنك لا تحبين نفسكِ.

حدّقت إليه ساخطة وقالت: «أنت لا تستطيع التوقف عن تقمّص شخصية فرويد، أليس كذلك؟ لِمَ لا تحلّل تصرّفاتك قبل أن تحلّل تصرفاتي؟ فأنت من ورّطنا في هذا المأزق من الأساس».

- أنت من دخلت غرفتي عن طريق الخطأ، وليس العكس.

اغتاظت من نبرة صوته الساخرة.

- اقترفت غلطة واحدة، أيفترض بي أن أدفع ثمنها طيلة حياتي؟

هزّ كتفيه بعدم مبالاة، وقال: «هذا الأمر رهن بكِ وحدكِ».

حدّقت إليه بشك فأردف يقول: «أعني أن بإمكانك تحويل هذا المأزق - كما أسميته - إلى أمر مسلٍّ فعلاً».

- أفضل الموت على الاستمتاع بوقتي معك.

رفع حاجبيه ونظر إليها متأملاً: «حذارِ، يمكن لمثل هذه الأقوال المتهورة أن تستدعي العاصفة من جديد».

- لا تكن سخيفاً!

وسُمع صوت رعد في البعيد. نظر كونور إليها فاتجهت نحو المدفأة، وتوهّج وجهها بالقرب من ألسنة النار.

سألها: «أتودين تناول شيء ما؟».

- وكيف عسانا نطهو من دون كهرباء؟

في تلك اللحظة عاد التيار الكهربائي فعادت الأنوار لتملأ المنزل من جديد.

رفع كونور رأسه نحو السقف وهو يبتسم ابتسامة عريضة.

لم تعد ياسمين تعرف ما تقول، وتساءلت إن كانت له يد في انقطاع الكهرباء رغبة منه في تنفيذ خطته. لاحظ كونور شكّها وابتسم من جديد.

- هيا بنا! فلنرَ ماذا هناك في المطبخ.

عبست وهي تلحق به من بعيد حتى وصلا الى المطبخ. عندما رأت أن الثلاجة والخزائن مكدّسة بمختلف أنواع الأطعمة، أدركت أنه بذل الكثير من العناء. فهناك طعام يكفيهما لمدة شهر كامل.

- ما رأيك ببعض السلمون المدخّن والسلطة؟

- لا بأس بذلك.

أجابته بذلك فيما كان يتناول الطعام من الثلاجة، ويضعه على الطاولة الموضوعة وسط الغرفة. ثم أزاح لها الكرسي لتجلس.

جلست وهي تعي تماماً قربه منها. واستطاعت أن تشمّ رائحة عطر ما بعد الحلاقة الذي يضعه. حبست أنفاسها إلى أن ابتعد وجلس على الكرسي المقابل لها وتسمّرت عيناه عليها. بعد قليل سألها: «أتودين المزيد من السلطة؟».

- ولِمَ لا؟

- نعم، طبعاً، لِمَ لا؟

أضاف السلطة إلى صحنها وجلس يراقبها وهي تأكل.

أحنت ياسمين رأسها، وراحت تنظر إلى الطعام في صحنها. تناولت الشوكة والسكين، وانغمست في تناول الطعام بغية تجنب الحديث معه.

في الواقع، لقد فقدت شهيتها منذ ساعات خلت، عندما وقفت قربه

أمام مسجل عقود الزواج. في تلك اللحظة شعرت بانقباض حاد في معدتها، وقد أدركت أهمية ما تقدم عليه. وفيما راحا يوقّعان عقد الزفاف، أحسّت وكأنها توقّع على وهب حياتها لهذا الرجل الغريب

ولم يخفّ التقلصّ في معدتها حتى الآن، بالرغم من مرور ساعات على الزفاف. إنه نوع من الفراغ والتوق، يذكّرها بكلّ ما أرادته ولن تستطيع الحصول عليه.

- لا تبدين جائعة.

قال كونور ذلك بعد أن راقبها لفترة طويلة وهي تنظر إلى صحن السلطة من دون أن تتذوّق منه شيئاً.

رمشت ياسمين بجفنيها ونظرت إلى صحنها قائلة: «آه! آسفة، لقد تناولت إفطاراً مشبعاً».

حدّق إليها للحظات طويلة، ورأسه مائل إلى جهة واحدة وشعره الأسود يلمع، ما أثار لديها الرغبة بتمرير أصابعها بين خصلاته الحريرية. لكنها وضعت يديها في حضنها وأجبرت نفسها على النظر إليه مباشرة.

سألته: «هل من هاتف هنا؟ أريد الاتصال بالعيادة لأبلغهم كم سأتغيب».

- سبق أن فعلت هذا!

شعرت بالانزعاج للطرق التي يستعملها للتعدّي على خصوصياتها. لقد طلب أوّلاً من مديرة منزله أن توضّب لها حقيبتها. وها هو الآن يقول إنه اتصل بالعيادة نيابة عنها.

صاحت بأعلى صوتها: «لا يحق لك القيام بهذا!».

نظر إليها بحدّة بالغة، فأيقنت أنه أدرك ما تفكر به. ولابدّ أنه لاحظ ارتجاف كتفيها.

- أملك كل الحقّ بتأمين شهر عسل ملائم لكِ.

ردّت ساخرة: «ملائم؟ ما من شيء ملائم في كل ما يجري هنا!».

- ياسمين...

جاءت نبرة صوته تحذيرية، ممّا زاد من غضبها.

- لا تنادِ اسمي...

لاحظت شبه ابتسامة ترتسم على شفتيه، فضربت الأرض بقدميها وصاحت: «طلبت منك ألاّ تسخر منيّ مجدداً».

وقف كونور بسرعة، فظهرت قامته الطويلة قبالتها. لم تستطع فهم تعابير وجهه، ولكنها أدركت أنها مزيج من الغضب والحنق وهو يضع المنديل بحذر على الطاولة، بالرغم من أن عينيه لم تغادرا عينيها للحظة.

قال كمن يتحدث إلى ولد صغير: «أظن بأن عليكِ الخلود إلى النوم، فقد أصبحت رديئة الطباع!».

- وكيف عساي لا أكون رديئة الطباع؟ فقد أحضرتني إلى هذا المكان القفر الأشبه بمنزل الأشباح، وها انت تتحكم بحياتي وتأخذ القرارات عني!

- يقال إن حديث المرأة يحلو بعد تناول العشاء، أما أنت فالأمر مختلف معك، فقد أضحى لسانكِ سليطاً.

لم تعد ياسمين قادرة على التحكّم بغضبها، فأزاحت الكرسي إلى الخلف غير عابئة بالأواني الموضوعة على الطاولة. فوقع كوبه على الأرض وتحطّم محدثاً صدى ملأ أرجاء الغرفة.

لم تعد تشكّ الآن بفهمها لتعابير وجهه؛ إنه غاضب.. غاضب أكثر بكثير ممّا يمكن أن تتخيّل. فمه مشدود، وحاجباه مقطّبان، وعيناه تلمعان بحدّة...

قال بعد صمت طويل: «لم يكن تصرّفك ملائماً».

- لا أكترث، ليته كان مليئاً بالعصير وانسكب على ثيابك!

- لو حصل ذلك لما استطعت تمالك نفسي، ولقمت بما كان يفترض بي القيام به من اللحظة الأولى التي دخلنا فيها المنزل.

ضج رأسها بشتّى أنواع الصور لسماعها كلامه. راحت تتخيل أنهما مستلقيان على الأريكة في غرفة الجلوس، قرب النار المستعرة من المدفأة، وشعرت بعضلات معدتها تنقبض لمجرّد التفكير بذلك.

- حسناً. لحسن الحظ أنه لم يكن مليئاً بالعصير.

قالت ذلك محاولة التخفيف من حدّة الجوّ.

لكنه لن يدعها تفلت من قبضته بهذه السهولة. نظر إليها متجهماً وقال: «بعد أن تنتهي من تنظيف هذا، سأرشدك إلى غرفة النوم».

خطا فوق الزجاج المبعثر على الأرض، وقبل أن تتمكّن من الردّ على الأمر الذي أصدره، خرج من المطبخ، وأغلق الباب خلفه.

بعد أن رتبت ونظفت المطبخ، صممت على أن تخبره بأنه لو بقي سرير واحد على الأرض، فلن تشاركه معه.

وجدته في غرفة النوم الرئيسية، وهي غرفة جميلة مع نوافذ عريضة تطلّ على الخليج. كان السرير القديم الضخم يهيمن على الغرفة، بالرغم من أن تلك الأخيرة تبدو واسعة. استدار كونور ما إن دخلت إلى الغرفة، وبادرته ياسمين بالقول: «لن أنام معك في هذا السرير».

- كما تشائين.

نظرت إلى وجهه محاولة إزالة قناع اللامبالاة عنه، وفهم ما يدور في خلده. فأضافت: «هذا غير وارد على الإطلاق».

- حسناً.

عضت على شفتها السفلى، وتابعت: «أعني أنت جذاب، ولكن... لا أستطيع فعل هذا... لا أستطيع».

قال كونور بشهامة: «سأنام على الأريكة في الأسفل».

تناول بعض الأغراض عن السرير، كيساً صغيراً يحتوي على أدوات الحلاقة بالإضافة إلى رداء الحمام، وتركها وحيدة في وسط الغرفة.

حدّقت إلى الباب المغلق وعبست. عرفت أنه لا يفترض بها أن تشعر

بالأسى والخيبة، لكن هذا ما تشعر به فعلاً، تباً!

استدارت، وجلست بتثاقل على السرير الكبير، فغرقت على الفور في الفراش القديم، وتطاير الغبار من حولها في الهواء فعطست.

- يا له من شهر عسل!

قالت ذلك وهي تضرب الوسادة بقبضتها، ما جعلها تعطس أكثر إلى أن دمعت عيناها. تباً له! وقفت وخلعت حذاءها، ثم توجّهت إلى الطابق السفلي لتكلّم معه. فتحت باب غرفة الجلوس، وتسمّرت في مكانها لرؤيته يقف في وسط الغرفة عاري الصدر وهو يستعد للنوم.

سألها دون اكتراث: «أتريدين شيئاً؟».

فابتلعت ريقها وأجبرت نفسها على النظر بعيداً: «أنا... كنت أريد أن أقول... أعاني من حساسية بسبب هذا السرير».

- حساسية؟

رفع حاجبه مستغرباً.

- لقد عطست، بالكاد يمكن اعتبار ذلك ناتجاً عن الحساسية.

وظهرت الخطوط فوق جبينه.

- لقد... عطست مراراً، وعيناي تدمعان.

- أراهما بحالة جيدة.

تقدمت نحوه لتريه عينيها المحمرّتين.

- انظر! هذه ردّة فعل ناجمة عن الحساسية!

فتحت عينيها لتراه يتأمل ملامحها كما لو أنه يراها للمرة الأولى، ثم هز رأسه قائلاً: «لا، أظنكِ تبالغين!».

- أبالغ! لن يغمض لي جفن هذه الليلة بسببك!

- لقد تعادلنا إذن!

لم تفقه معنى كلامه فوراً، وعندما فهمت احمرّت خجلاً، من رأسها حتى أخمص قدميها.

ابتعدت عنه، ولسرعتها تعثّرت بالسجادة وأوشكت أن تقع. أمسك كونور بها وشدّها نحوه، فشعرت بتصلب عضلات صدره ومعدته.

قال لها برقة: «عليكِ أن تنتبهي أكثر يا ياسمين، والاّ فسوف تجدين نفسكِ تقومين بأمور لا تفعلينها عادة».

- عدت تسخر مني. قلت لك ألاّ تفعل!

- صدقيني يا ياسمين... أنا لا أسخر منكِ.

شعرت بدفء جسمه بالقرب من جسمها، ولم تعد تقوى على الوقوف، إذ خانتها قواها بعد أن رأت انعكاس صورتها في بحر عينيه الداكنتين.

صعب عليها أن تدرك من منهما قام بالخطوة الأولى. افترضت ياسمين أن كونور خطا الخطوة الأولى. ولكن، وبعد التفكير، راحت تظنّ بأنها هي من التصقت به أولاً.

كل ما تعرفه هو أنه عانقها بشغف وحرارة فاستسلمت لعناقه وشعرت بمعدتها تتقلّص. كما استعرت في داخلها مشاعر الشوق إلى حدّ أنها لم تعد قادرة على المقاومة. ولم ترَ من داعٍ لكي تقاوم، فعاجلاً أم آجلاً سينتهي بهما الأمر بين ذراعي بعضهما البعض. ولكن ما إن يكتشف أنها لن تتجاوب معه، سيعود بسرعة إلى حياة العزوبية.

سمعته يتنفّس برقّة، فشعرت بالتوتر وبدفء وصل إلى عمق أعماقها، ومزيلاً كلّ مقاومة قد تصدر عنها.

همس كونور في أذنها: «ثقي بي يا ياسمين».

أغمضت ياسمين عينيها، واستسلمت لسحره غير عابئة بما سيحصل غداً.

ما إن عادت إلى الأرض من رحلتها نحو الكواكب، حتى ساورتها الخشية والشك من أنه يسخر منها. وعلى الفور شعر كونور بتوترها فانحنى جانباً وراح يراقب ملامحها التي تغصّ بمختلف أنواع المشاعر

فانحنى جانباً وراح يراقب ملامحها التي تغصّ بمختلف أنواع المشاعر المتناقضة.

شعر بأنفاسها تنقطع وهو يلمس خصلة من خصلات شعرها.

يا لهذه المراة! إنها تأسره، فرفضها له يجعله أشد توقاً إليها. أراد الحصول عليها منذ اللحظة الأولى التي رآها فيها في حفلة خطوبة شقيقه. راحت تنظر إليه عندها من حين إلى آخر، ممّا أشعل الرغبة في داخله أكثر فأكثر. والآن ها هي بين ذراعيه. تماماً حيث يريدها أن تبقى... بشكل دائم. لم يستطع منع نفسه من الضحك بسبب التغيّر الذي أصابه. من عساه يتعرّف الآن إلى زير النساء اللعوب؟

- علي الدخول إلى الحمام.

لم تكن نبرة صوتها ناعمة وملائمة للحميمية التي تبادلاها لتوّهما، لكنه عرف بأنها بحاجة إلى وضع بعض المسافة بينهما.

- تفضلي.

شعرت ياسمين بمزيج من الامتنان والإثارة والخجل لمدى توقها إليه. ما خطبها؟ لِمَ لا تستمتع باللحظة كما هي؟ لِمَ تطمح إلى المزيد؟

ما عساه يقدّم لها أكثر من دفء جسمه والراحة المؤقتة بين ذراعيه؟

وقفت وغادرت الغرفة، ولكنها عرفت بأن عينيه السوداوين بقيتا مسمّرتين عليها، حتّى عندما أغلقت الباب خلفها.

٨ - حب أم انتقام؟

استغرقت ياسمين وقتها في الحمام. حدّقت إلى انعكاس صورتها في المرآة وبالكاد تعرّفت إلى نفسها. بدت عيناها واسعتين كما لو أنها استيقظت لتوّها من سبات عميق، وبدا خداها متوردين، كما ظلت تشعر بلمسات كونور اللطيفة عليها، حتى بعد انتهائها من الاستحمام.

شعرت بالغرابة بسبب هذه المشاعر. استطاعت أن تشم رائحته في الحمام، كما لو أنه طَبَعها بطابعه وجعلها ملكاً له. إنها واثقة من عدم قدرة شخص غيره على إحياء مثل هذه المشاعر في داخلها. والمشكلة الوحيدة هي أنها تبقى واحدة من بين مئات النساء اللواتي عاشرهن. وما من مستقبل لعلاقة بدأت كعلاقتهما.

لقد قاومت مشاعرها تجاهه منذ اللحظة الأولى التي التقته فيها. فمنذ تلك اللحظة أحست بأنه يشكل خطراً عليها، ولكن هذا لم يعد عليها بالفائدة. فبالرغم من تصميمها على إبقائه بعيداً عنها، كان قلبها قد استسلم له منذ مدّة.

عندما عادت ياسمين إلى غرفة الجلوس، كان كونور يقف قبالة المدفأة. نظر من فوق كتفيه عندما دخلت، وأضاءت ابتسامة صغيرة ثغره..

- هل سررت لرؤيتي؟

اقترب كونور منها، أما هي فقد توقّفت عن التنفس عندما مدّ يده وأمسك بخصلة من شعرها الكستنائي، وراح يلفها حول إصبعه مراراً

وتكراراً كما لو أنه يشدّها لتقترب نحوه برقة لا متناهية.

- بالتأكيد أنا مسرور لرؤيتك.

ضمها إلى صدره بسرعة، وتوقّف الزمن مرة أخرى.

اقتربت ياسمين منه بكلّ أحاسيسها الأنثوية المتلهفة إليه. واستلقى بقربها، وراح يمرر أصابعه برقة على خديها وذقنها وعنقها، إلى أن كادت تذوب شوقاً إليه.

وتساءلت لِمَ عساها لم تدرك قبل الآن أنها تحبّه. وكيف لا تحبه؟ فلطفه أخّاذ، وقد جرّدها من سلاحها. حتى لو أرادت مقاومته فلن تستطيع، لقد زلّت قدَمها ولن تستطيع الرجوع إلى الوراء.

لم يكن الوقت ملائماً للتفكير والتحليل، إنه وقت الانسجام. فتحت ياسمين عينيها لتجد أنه ينظر إليها.

- إنك جميلة للغاية.

لم تعرف بما تجيب. أتقول شكراً؟ لا، فهذه الكلمة ستبدو رسمية ومهذبة للغاية، لاسيّما بعد اللحظات الحميمة التي تشاركاها للتوّ. فقالت: «أنا... لست خبيرة في مثل هذه المواقف. كما لاحظت طبعاً».

- أنت شابة مثيرة للغاية، تجعليني أفقد السيطرة على نفسي. لم يتمكّن أحد من فعل هذا بي منذ سنوات.

- آسفة!

أرجع رأسه إلى الخلف وضحك ثم قال: «كما أنكِ واحدة من النساء الأكثر طرافة اللواتي التقيتهن في حياتي، وهذا الأمر بحدّ ذاته مثير للغاية».

- أحقاً؟

بلّلت شفتيها بلسانها مرة أخرى. لاحظت أنه ينظر إليها بشغف، وراح يقترب منها تدريجياً إلى أن أصبح وجهه على بعد ميلليمتر واحد.

- نعم.

قال هذا وقربها إليه ليضمها في عناق جارف. لم ينتهِ إلاّ بعد أن جرفهما معاً في أحاسيس قوية، إلى بحر دون قرار.

عندما سكنت عاصفة العواطف المشتعلة، لامس كونور أنفها بخفة قبل أن يقف بسهولة حسدته عليها.

راقبته وهو يأخذ الوسادات عن الأريكة ويضعها على الأرض قرب المدفأة. ثم قرّبها من الوسادات فشعرت بدفء لم تعرف له مثيلاً.

استلقيا بصمت لا يعكّر صفوه سوى صوت المدفأة، واللهيب المستعر، والأنين الصادر عن احتراق الحطب. لم تدرك ياسمين يوماً أن نار المدفأة يمكنها أن تخلق مثل هذا الجو الساحر.

همس كونور في أذنها: «فلننم قليلاً».

أغمضت عينيها، وراحت تصغي بتركيز إلى صوت احتراق الحطب.

وبعد دقائق معدودة، عرفت من وتيرة تنفسه بأنه غفا. أسندت رأسها إلى صدره، وتنشّقت رائحة جسمه، وتساءلت إن كانت ستجده بقربها عندما تستيقظ في الصباح.

* * *

استيقظت ياسمين لتجد نفسها وحيدة، إلاّ أنها سمعت وقع خطوات كونور في المنزل. استدارت إلى الجهة الأخرى، وراحت تستمع إلى تغريد الطيور في الخارج.

جرّت نفسها لتغادر السرير الدافىء الذي أعدّه لها كونور، وراحت تبحث عن ثيابها إلاّ أنها وجدت رداء الحمام فقط. ارتدته، وقامت متجهة نحو الحمام. لم يتحسّن مزاجها حتى بعد ان استحمت، فقد شعرت بالندم لِما حصل ليلة أمس. نظرت إلى المرآة وراحت تلوم نفسها. مجرد عناق واحد في جو من الرومنسية والدفء أفقدها رشدها، وجعلها ملكاً لشخص آخر. ولكن ليس أي شخص، بل كونور

هاروسميث زير النساء الأكثر شهرة. لم تشعر بالارتياح عندما حاولت إقناع نفسها بأنها مغرمة به، ولها كلّ الحقّ بالتعبير عن حبّها بطريق حسيّة. بل على العكس، زادت الأمور سوءاً. فهي لن تستطيع أن تقول له: «اسمع أنا أحبك فعلاً، بالرغم من ظروف زواجنا الغامضة».

ستبدو غبية في نظره، ولابدّ أنه سيضحك لكلامها، أو يبتسم ابتسامة ساخرة. رمت منشفتها على الأرض فوق منشفة كونور بتحدٍ. فليلتقطها بنفسه، إذ إنها لن تركض خلفه لترتب المنزل في حين ينتقّل هو فرحاً بين الغابات، والمكتب، والملاهي الليلية بحثاً عن ملذّاته.

وجدته في الحديقة الخلفية ينشر غطاء السرير الذي رفضت أن تنام عليه الليلة الماضية على حبل الغسيل. استدار ينظر ناحيتها، بالرغم من أنها واثقة من عدم إصدارها أي صوت. وتساءلت إن كان يملك حاسة سادسة، أم أنه يقرأ أفكارها.

- كيف تشعرين؟

قالت وهي تنظر مباشرة إلى عينيه: «أنا حزينة».

ابتسم معتذراً، ثم قال: «لم أفعل شيئاً لم ترغبي بأن أفعله».

- بلى فعلت. أخبرتك أنني لا أريد إقامة علاقة حميمة معك وأنت استغلّيت... خوفي و... شعوري بالوحدة.

تصلب فكّاه وعلا العبوس وجهه، ما أنبأها بأن عليها أن تتوقّف عن الشجار، إلاّ أن كبرياءها منعتها من ذلك.

- أحتقر أمثالك من الرجال الذين لا تعرف أنانيتهم أي حدود. لا يهمك سوى إقامة علاقة مع المرأة بأية طريقة كانت، حتى لو شكّل الزواج سبيلاً إلى ذلك.

- أظنك قلت ما يكفي حتى الآن يا ياسمين. يبدو أنك تعاودين التفكير بما جرى البارحة، لكن لا تجعليني كبش المحرقة. أنت جئت إليّ بملء إرادتك، وقد فعلت ما كان أي رجل ليفعله في مثل هذه الظروف.

- أريد العودة إلى المنزل الآن! لا أريد أن أبقى دقيقة إضافية معك هنا!

- لا تكوني مأساوية إلى هذا الحدّ. إن عدنا إلى المدينة بعد أقلّ من أربع وعشرين ساعة على زواجنا، ستثير الشبهات من حولنا، وكلانا بغنى عن ذلك.

- أفضّل مواجهة الصحافة على قضاء ليلة أخرى بين ذراعيك!

- كلانا يعرف أن هذا الكلام غير صحيح!

قال كونور ذلك، وحدّق إليها بعينيه السوداوين متحدّياً أن تعارضه.

نظرت إليه بسخط وقد ساورتها رغبة بالانتقام.

- لِمَ أحضرتني إلى هنا؟ لِمَ لم تصطحبني إلى فندق راق عوضاً عن حجر الجرذان هذا؟

- لقد تخلصت من الجرذان الأسبوع الفائت، أما فيما يختصّ ببيوت العنكبوت، فسوف أعمل على إزالتها عصر اليوم.

نظرت ياسمين إليه وهي عاجزة عن الكلام، فتابع يقول بهدوء: «أعلم أن هذا المكان ليس بفندق الريتز، ولكن بعد إضفاء بعض اللمسات عليه سيصبح منزلاً مريحاً. على أي حال، ما من أحد سوانا يعرف بوجوده، لذا سنكون في أمان هنا لبضعة أيام على الأقل».

أخيراً، تمكنّت من الكلام: «هل كان في المنزل جرذان؟».

ابتسم كونور وتناول سلّ الغسيل قائلاً:

- هيا، لتتناول الفطور قبل أن نذهب إلى الشاطىء.

وجدت ياسمين نفسها تتبعه بالرغم من إصرارها سابقاً على تجنبّه. حدّقت إلى مختلف أرجاء المطبخ وهو يضع الماء في الركوة، وهي ترقب رؤية جرذ. ناولها كونور كوباً، لكنه أفلت من يديها ووقع أرضاً.

نظر إليها مرتاباً، ثم قال: «أنتِ فعلاً متوترة».

- أنا بخير.

لم تكترث كثيراً لكلامه، بل ذهبت لتحضر المكنسة التي استعملتها

ليلة أمس. لكن لسوء الحظ، يبدو أنها لم تضع المكنسة في مكانها بطريقة جيدة ليلة أمس. إذ ما إن فتحت الخزانة حتى وقعت المكنسة أرضاً.

صاحت مذعورة بأعلى صوتها، فاقترب كونور ليجدها تقف على الطاولة، ووجهها أبيض وشفتاها ترتجفان كما لو أنها رأت شبحاً.

قال وهو يمدّ يده نحوها: «مهلكِ يا عزيزتي، هل أخافتك المكنسة الكبيرة؟».

تجاهلت يده الممدودة لمساعدتها وقالت: «إياك ان تسخر مني، إياك أن تفعل!».

رفع يده ببراءة كما لو أنه لم يفعل شيئاً: «وهل أجرؤ؟».

نزلت عن الطاولة ووقفت أمامه وهي تشعر بالغيظ.

- أنت أحد أكثر الرجال إزعاجاً، ولسوء حظي أنني التقيت بك. أتعرف هذا؟

قدّم لها تحية عسكرية وقال: «أنا في خدمتكِ سيدتي».

استدارت ياسمين وخرجت من المطبخ من دون أن تنظر خلفها، وقد فقدت شهيتها تماماً. وجدت ثيابها في غرفة النوم الرئيسية، حيث قام كونور بنزع الشراشف عن السرير وفتح النوافذ لتهوئة الغرفة. ارتدت بنطلوناً وبلوزة مريحين، وشعرت بالسرور لأنها لم تعطس ولو مرة واحدة. بعدئذٍ نزلت إلى الطابق السفلي وغادرت المنزل عبر باب جانبي حتى لا تضطر إلى رؤيته.

لم تبدأ بالاسترخاء إلاّ عندما وصلت إلى الشاطىء. مشت على طول الشاطىء تستمع إلى صوت الأمواج وتتنشق رائحة البحر. كان الهواء بارداً، لكنه بدا منعشاً. سارت باتجاه مجموعة الصخور التي تبعد حوالى كيلومترين عن المنزل، وعندما وصلت إلى هناك، راحت تراقب البرك المنتشرة بين الصخور. وضعت يدها في البركة الأكبر تتحسّس المياه الدافئة التي تتلألأ مضيئة تحت أشعة شمس الصباح، ورأت بضع نباتات

www.elromancia.com

شقائق النعمان تستكين هامدة بين الأعشاب البحرية.

جلست إلى صخرة وراحت تحدّق إلى البحر، فالأمواج المتلاطمة بالصخور تبعث في نفسها السكينة.

بدا المكان هادئاً وصاخباً في الوقت عينه. راحت تستمع إلى أصوات طيور البحر الممزوجة بصوت الريح، وإذا بها تتنهد بقوة، وكأنها تخرج من صدرها كلّ ما يسبّب لها الازعاج. لم تعد جنتها على حالها بعد أن اقتحمها كونور. إنه يبقيها متوترة، مشدودة الأعصاب، لاسيّما الآن بعد أن كُسر حاجز آخر يفصل بينهما.

وبعد قليل، عادت أدراجها وراحت تسير على الخطوات نفسها التي خطتها في السابق، وهي لا ترغب بتشويه سطح الرمل الأملس. تمكّنت من الوصول إلى البركة الأولى من دون أن تضاعف عدد الخطوات، ولكن عندما اقتربت أكثر وجدت آثار خطوات أكبر من آثار خطواتها على الرمل.

استدارت ورأت رجلاً منحنياً لم تره في السابق، لأنها كانت تنظر إلى الأرض. ومن دون أن ترى وجهه عرفت أنه كونور. فكّرت بالادعاء بأنها لم تره. لكن، وقبل أن تتمكّن من الهرب، استدار وواجهها.

- لقد غبت منذ أكثر من ثلاث ساعات!

- وماذا في ذلك؟

- كان يجدر بك أن تخبريني عن وجهتك.

- ولِمَ عساي أفعل هذا؟

شدّ كونور على أسنانه: «لأن إخبار الناس بمكان ذهابك هو من قواعد التهذيب».

- لا دخل لأحد بالمكان الذي أذهب إليه.

- بقدر ما أخشى إزعاجك، أجد نفسي مضطراً لإخبارك أن من شأني معرفة المكان الذي تذهبين إليه.

- أنت تأخذ مسؤولياتك كزوج بكثير من الجدية. سبق لي أن أخبرتك بهذا.

نظر إليها عن كثب، ثم سألها بنبرة لطيفة: «هل كنت تبكين؟».

- طبعاً لا. دخل الرمل في عيني، إذ كانت الرياح قوية منذ قليل.

بدا راضياً عن جوابها وسار بقربها. قال بعد بضع دقائق: «لابدّ أنك جائعة للغاية، فأنت لم تتناولي الفطور، والآن مر وقت الغداء أيضاً».

- لا بأس، فأنا أحتاج إلى خسارة بعض الوزن.

- أحقاً؟ يبدو لي وكأن الريح قادرة على اسقاطك أرضاً.

- أنا على ثقة بأنك تفضل النساء الممتلئات الجسم. آسفة لأنني خيبت أملك.

علت وجه كونور شبه ابتسامة ورمقها بنظرة جانبية، ثم قال: «لو لم أكن أعرفك جيداً لظننت أنكِ تشعرين بالغيرة».

- أجهل تماماً عمّا تتكلّم.

أمسك بها وأدارها صوبه، فنظرت إليه متحدية، ولكنها عرفت أن آثار الدموع مازالت بادية في عينيها.

- بلى تعرفين. كلّما اقترب أحدهم منك تبنين جداراً من الغضب لردعه. أنت غاضبة من نفسك لأنك تصرفت على سجيتك، ولست غاضبة مني إلى هذا الحدّ بشأن البارحة، أليس كذلك يا ياسمين؟

أشاحت بنظرها ونظرت إلى الجهة اليسرى.

- بقدر ما سيبدو لك الأمر غريباً، دعني أخبرك بأنني غاضبة منك فعلاً. قد تستغرب أن تقول لك امرأة هذا الكلام، ولكنه صحيح.

أمرها بنبرة متحدية: «انظري مباشرة إلى عيني، وكرّري ما قلته ثانية».

حدّقت إليه وقالت: «أنا غاضبة منك يا كونور».

لفظت ياسمين اسمه بطريقة جعلته ينسى بقية عباراتها، فالته برقة وحنان على عكس ما أرادت أن تفعل.

www.elromancia.com

ابتسم قائلاً: «أحب أن أراكِ غاضبة مني!».

نظرت إليه حائرة: «لماذا؟».

- لأنه دليل على شعورك بشيء ما تجاهي.

- أنا لا أشعر...

وضع إصبعه على فمها مانعاً إياها من الكلام، وقال برقة متناهية كذلك النسيم الذي يداعب شعرها: «لا، ابقي غاضبة مني، بل استشيطي غيظاً إذا شئتِ».

أفلت شفتيها فسألته ساخرة: «ولماذا؟».

أحنى كونور رأسه وعانقها عناقاً سريعاً ملؤه الشغف، قبل أن يجيب: «أهذا سبب مقنع؟».

فتحت فمها، ثم عادت فأغلقته وهي لا تدري ما تقول.

قال بارتياح: «السكوت علامة الرضى!».

وقبل أن تجيب، استدار وغادر المكان، فبقيت وحدها تحدّق إلى الفراغ الذي خلّفه غيابه.

٩ - أحبك عندما تغضبين

عادت ياسمين بمفردها إلى المنزل القديم. عرفت أن ما تفكر به ضرب من الجبن، ولكنها عجزت عن منع نفسها من التفكير بأن كونور تلاعب بها، حتى يدفعها إلى الاعتراف بما لم ترد الاعتراف به. تذكّرت النقاش الذي جرى بينهما وأقرّت بأنه متمرّس في إجراء النقاشات. إنه يعرف كيف يردّ عليها، ويتوقّع كل حركة كما لو أنه يقرأ أفكارها.

دخلت المنزل تماماً كما خرجت منه، بهدوء تام. راحت تصغي جيداً علّها تسمع صوتاً يخبرها بأن كونور هناك، ثم توجهت إلى المطبخ لتناول ما يخفّف من شعورها بالجوع.

ما إن انتهت من تناول وجبتها السريعة، حتى دخل وهو يحمل بيده مكنسة طويلة.

- انتهيت لتوّي من إزالة بيوت العنكبوت، وتساءلت إن كان بوسعك مساعدتي في توضيب المكتب.

نظرت إليه بحدّة: «أساعدك في ماذا؟».

- أعدك. ما من جرذان، ولا عنكبوت، ولا حيات، بل مجموعة كبيرة من الكتب فحسب.

- الكتب؟

أومأ بالإيجاب قائلاً: «لست من هواة الكتب، ولكنني تعرّفت إلى بعض العناوين. يبدو أن بعض هذه الكتب قديمة للغاية، أو هي نسخات أولى».

www.elromancia.com

لقد ربح هذه المعركة من دون قتال. فهي تهوى الكتب بشكل عام، والقديمة منها بشكل خاص.

- حسناً!

وقفت ياسمين، وعلى الفور لاحظت بريق الانتصار في عينيه. شعرت كأنه احتال عليها بطريقة ذكية، لكنها، وبحسب خبرتها معه، واثقة من أنه يحضّر لشيء ما.

اشتمت في المكتب رائحة عفونة، فجاهدت كي لا تعطس، وراحت تنظر من حولها. كانت الرفوف تغطي الجدران الثلاثة من الأسفل إلى الأعلى، وجميعها مرصوفة بالكتب. رأت طاولة مكتب جلدية في وسط الغرفة، بالقرب من النافذة ولاحظت أن الستائر البنية المخملية قد فقدت رونقها، وظهرت فيها ثقوب تسللت منها أشعة الشمس. نظرت ياسمين إلى أحد تلك الرفوف، وإذا بها ترى مجموعة من الكتب ذات الحواشي الذهبية اللون، وعلى الرفوف العلوية رأت مجموعة أكثر أناقة.

صاحت بحماسة: «يا للروعة!».

ولمعت عيناها وهي تمسك بيدها نسخة أولى من كتاب للأطفال يعود إلى القرن الفائت.

استدارت نحو كونور وهي تقول بحماسة بالغة: «بعض هذه الكتب لا تقدّر بثمن، أتعرف هذا؟».

- أظن بأن واحداً أو اثنين منهما هما كذلك!

- أنا أعشق الكتب القديمة، وأحبّ رائحة الصفحات الصفراء وفكرة أن أجيالاً قرأت الكلمات عينها مراراً وتكراراً... ولكن لِمَ لم يأخذها المالك السابق معه عندما غادر؟

ردّ وهو يتجه نحو الباب: «لا أعرف، سأتركك تتسلين بينما أذهب لتحضير العشاء».

استدارت تواجهه: «ألا تمانع في بقائي هنا لبعض الوقت؟».

هزّ رأسه نفياً، وقال: «تصرفي على راحتك، أما أنا فأكثر ما أطالعه هو صفحة الرياضة في الصحيفة».

لم تصدق كلامه طبعاً، فلو لم يكن يهتم للكتب، كيف عساه يعرف قيمة الكتب التي أرشدها إليها؟ إلاّ أنه أغلق الباب خلفه قبل أن تتمكّن من الردّ عليه، وبقيت بمفردها مع مجموعة من الكتب القديمة والذكريات.

عاد كونور بعد ساعة ونصف الساعة ليجدها متقوقعة على مقعد طويل، ورأسها مدفون في نسخة قديمة من كتاب لكونتانس.

- أهو كتاب جيد؟

نظرت إليه وابتسمت، إنها الابتسامة الأصلية الأولى التي يراها ترتسم على هذا الوجه الجميل.

- نعم، أحب هذا الكتاب القديم.

- العشاء شبه جاهز، إن كنت جائعة!

رمقته بنظرة ملؤها الشعور بالذنب: «كان يفترض بي مساعدتك في الطهو!».

- ما من مشكلة. فأنا أستمتع بهذا! لقد علّمتني ماريا مديرة منزلي بضعة أمور على مرّ السنين!

ثم وقف وتمطّى.

حدّقت ياسمين إلى عضلات معدته التي تكشفها قميصه الضيقة. بداجسمه رائعاً بكلّ ما للكلمة من معنى، فهو طويل القامة، قوي العضلات، أسمر البشرة وبالغ الجاذبية.

فتح لها الباب وخرجا من الغرفة باتجاه المطبخ، وهي تشعر بخطواته خلفها مباشرة. اقترح كونور أن يتناولا العشاء في غرفة الطعام حيث حضّر مقعدين على الطاولة الكبيرة. جلست ياسمين فيما راح يقدّم لها طبق لحم العجل مع صلصة البندورة التي حضّرها في السابق.

- أتودين تناول بعض المرطبات؟

ردّت بعد برهة من الصمت: «لا شكراً».

بعد أن تناولت القليل من الطعام، قالت تمتدحه: «هذا لذيذ للغاية!».

- شكراً.

تناولت ياسمين الطعام بصمت وهي تحاول عدم النظر إليه. أخذت وقتها في مضغ كل لقمة وذلك تجنباً للكلام.

أما كونور فأنهى طعامه، وراح يراقبها وهي تقطع الجزء الأخير من الطعام إلى قطع صغيرة، وتمضغها على مهل بشكل مبالغ فيه.

أسند مرفقيه إلى الطاولة أمامه، ورماها بابتسامة مفادها أنه يعرف ما الذي تخطط له. سألها: «أنت منزعجة من رفقتي، أليس كذلك؟».

أملت أن تظهر تعابير وجهها بريئة وهي تنظر إليه قائلة: «لا، على الاطلاق».

رفع حاجبه وتناول كوب المرطبات، وارتشف منه رشفة صغيرة..

سألها بعد برهة من الصمت: «ما أكثر ما يخيفك؟».

وضعت الشوكة والسكين جانباً، ومسحت فمها بالمنديل علّها تطيل الوقت قبل أن تجيب.

- أنا لا أجدك مخيفاً بل مزعجاً.

- وماذا عن ليلة أمس؟

- ماذا عنها؟

- كنت ترغبين بي تماماً كما أرغب بك. قضيت النهار بطوله وأنت تقولين لا، ولكن عندما حانت لحظة الصفر، قرّر جسدك نيابة عنك.

ردّت بسرعة وقد احمّر وجهها: «ليلة أمس كانت غلطة».

- لم أكن لأرغمك على القيام بشيء لا تريدينه. انتظرت ريثما خطوتِ الخطوة الأولى.

سألته ساخرة: «حدّد ماذا تقصد بقولك «الخطوة الأولى». ماذا

فعلت؟».

ابتسم كونور برقة قائلاً: «ترفضين الاعتراف، أليس كذلك؟».

- أعترف بماذا؟

- لست صادقة معي ولا مع نفسكِ. لِمَ يصعب عليك إلى هذا الحدّ الاعتراف بما تشعرين به فعلاً؟

قالت بصوت عال: «تباً لك يا كونور! تجعلني أشعر بأمور لا أريد أن أشعر بها!».

- قولي لي ما الذي تشعرين به يا ياسمين!

- أشعر... وكأنني شخص آخر!

- عندما تكونين برفقتي؟

أومأت قائلة: «أكون عادة مسيطرة على أعصابي، مرتاحة، كل شيء في مكانه، أتفهم؟».

هزّ رأسه إيجاباً، فيما تابعت ياسمين تقول: «ولكن عندما أكون برفقتك، أشعر... أشعر...».

توقفت وكأنها تبحث عن الكلمات المناسبة، ثم تابعت: «أشعر... بأنني... فقدت السيطرة».

- الشعور بالسيطرة أمر هام بالنسبة إليكِ، أليس كذلك؟

- لا أحبّ الأمور غير المتوقّعة. أحب معرفة ما الذي سيجري كي أتحضّر له. وأنا لا أشعر بهذا وأنا في جوارك... أجهل ما الذي سيجري، ولا أدري كيف أحضّر نفسي.

- لست بحاجة إلى تحضير نفسكِ، بل كوني على طبيعتكِ ليس إلاّ.

- لم أعد أعرف كيف أتصرّف على طبيعتي!

- أبسبب ما حصل مع روي هولدن؟

نظرت للحظة إليه: «هذا... وغيره من الأمور».

- أي أمور أخرى؟

www.elromancia.com

أخفضت نظرها: «أموراً لا أريد التحدث عنها!».

عضت على شفتيها، وحاولت عدم الاستسلام لدموعها. شعرت بيده تلامس يدها، ودفء كفّه ينساب إلى برودة يدها، ويردّ لها الحياة. رفعت نظرها لتجده يحدّق إليها بجدية وتشجيع.

- لِمَ لا تذهبين وترتاحين في غرفة الجلوس، بينما أرتّب الأمور هنا؟ سأحضّر لك بعض القهوة بعد قليل!

ابتسمت له ممتنة، وغادرت الغرفة مسرورة لأنها ستتمكن من استعادة رباطة جأشها بعيداً عن نظراته.

كان كونور قد أشعل النار في المدفأة منذ بعض الوقت، ووجدتها ياسمين تستعر بلونيها الذهبي والأحمر الرائعين. حاولت عدم التفكير بما شهدته هذه الغرفة ليلة أمس، فجلست على الأريكة وراحت تتصفّح مجلة قديمة بانتظار أن يوافيها.

بعد بضع دقائق دخل كونور إلى الغرفة وهو يحمل صينية عليها كوبين من القهوة الطازجة، وضعهما على الطاولة الصغيرة أمامها.

- كيف تشربين قهوتك؟

- من دون إضافات.

ساد الصمت بينهما لبعض الوقت. جلس كونور بقربها وشرب القهوة، وهو يراقب النار. شعرت ياسمين بقربه منها بقوة، ومجرّد التفكير بأنها قادرة على مدّ يدها وملامسة شعره، زاد من رغبتها بفعل هذا.

رطّبت شفتيها بلسانها، فحوّل كونور نظره إلى فمها. لاحظت أن لحيته بدأت تنمو، ورغبت بأن تلامس ذقنه وفمه بأصابعها.

أغمضت عينيها ما إن قرّب رأسه منها، وأرخت كتفيها.

ولكنه تراجع قليلاً إلى الخلف، ففتحت عينيها كأنها تبحث عن ملامحه بنظرات متسائلة.

وضع كونور خصلة من شعرها خلف أذنها، فراح قلبها يخفق بقوة، وشعرت بالدم يغلي في عروقها.

أرادت أن يعانقها مجدداً، عناقاً حقيقياً. وتساءلت إن كان قد قرأ الشوق في عينيها، أو في توتر شفتيها. وسمعت نفسها تهمس باسمه: «كونور...».

وقف وأمسك بيدها، وجرّها لتقف أمامه. شعرت بدفء جسمه بقربها، يجذبها إليه كالمغنطيس. كانت تعلم أنها ستأذى في ما بعد، ولكنها عجزت عن إيقاف نفسها. فهي تحتاجه، وتريده، بغض النظر عن النتائج.

قادها إلى الطابق العلوي من دون أن يتكلّما. كان الأمر أشبه بتوقيع اتفاق صامت؛ ولم يرد أحدهما التكلّم خشية إفساد جوّ الحميمية.

استلقيا معاً على السرير، وعانقها كونور برقة، وبعد قليل، قال وهو يحاول إغاظتها: «هل أنتِ واثقة من هذا؟ لا أريدك أن تنهالي عليّ باللوم غداً صباحاً عندما تستعيدين رشدك!».

- أعدك ألاّ أفعل!

- أنا أشعر بالاغراء، لكن، وبعد التفكير...

أمسكت به بحدّة: «كونور، إن لم تكف عن المناورة، فسأتصل بالصحافة وأعلمهم بأنك زوج سيء».

ابتسم لها كونور ابتسامة ملؤها الرضى، وقال: «أحبك عندما تغضبين».

كانت لتردّ عليه، إلاّ أنه أغرقها في عناق محموم، فغابت كل فكرة عن رأسها. وفي لقائهما الحميم هذا لم تعد ياسمين تشعر بالعالم من حولها، بل شعرت وكأنها تحلق معه بين الكواكب.

بعد أن عادا من رحلتهما المفعمة بالأحاسيس الرائعة، قال لها كونور: «يا إلهي! أنت رائعة!».

- وأنت كذلك!

وأخفضت عينيها، وقد عاد الخجل إليها.

أمسك ذقنها ورفع رأسها إلى الأعلى.

- لا تنظري بعيداً. أرغب برؤية نظرة الرضى في عينيك!

لم تستطع منع نفسها من طرح السؤال: «إلى متى سيستمر ذلك؟».

ساد بينهما صمت مثير للضحك إلى أن قال كونور: «طيلة الوقت اللازم».

لم تعرف بما تردّ على جوابه، وافترضت أنه يتحدث عن اهتمام الصحافة. أتراه ينوي وضع حدّ لزواجهما ما إن تنتهي الأقاويل حولهما؟ أغمضت ياسمين عينيها كي لا يلاحظ الحزن الذي ظهر فيهما.

قال كونور محاولاً مضايقتها: «لا تقلقي يا ياسمين، لن أرغمك على البقاء معي إن كنت لا تريدين».

- لست قلقة، فأنا أعرف أن زواجنا إجراء مؤقت.

- يفترض به ألاّ يكون كذلك.

نظرت إليه، وحاولت فهم تعابير وجهه، إلاّ أنها عجزت عن ذلك. فعبست قائلة: «ماذا تعني بهذا؟».

- أعني بأننا لسنا مضطرين إلى وضع حدّ لزواجنا ما لم يرغب كلانا بذلك.

- ولكن، من البديهي أنك لا تريد ربط نفسك بي بشكل دائم.

- قد يكون من الممتع إنجاب الأولاد! أتظنين أنني لن أكون والداً ملائماً؟

فتحت فمها، ثم عادت فأغلقته من دون أن تعرف كيف تجيب.

- حسناً ما ردّك؟

تخيلته يحمل بين يديه طفلاً صغيراً ذا شعر أسود، ويضمّه بحذر بين ذراعيه.

- لا.. أعني بلى، ستكون والداً رائعاً!

- ما المشكلة إذن؟

- لا أظن أن من الحكمة إنجاب طفل في ظل علاقة يسودها الكره.

- أنت لا تكرهينني يا ياسمين!

رفعت ذقنها، وقد عادت كبرياؤها إلى الواجهة: «تبدو واثقاً جداً من هذا!».

- واثق بما يكفي!

- حسناً، أعتذر لأنني سأخيب أملك، ولكنني سأذهب حتماً إلى الجحيم بسبب شعوري تجاهك.

ضحك كونور من كل قلبه ثم قال: «وأنا أيضاً».

لم تستطع منع نفسها من الضحك، وسألته: «أنت تجد معظم الأمور في الحياة مضحكة، أليس كذلك؟».

- أرى بأنه من غير المجدي أن أعذّب نفسي بالشعور بالذنب والندم. لدينا فرصة واحدة لنحيا، وفلسفتي تقول بأن أحيا حياة جيدة.

- إذن، أنت تنتقل من امرأة إلى أخرى بحثاً عن التسلية.

- نظرتكِ سيئة جداً نحوي، فأنا لست مدمناً على المواعيد الغرامية، بل أختار بدقّة ليس إلاّ.

- أيفترض بي أن أشعر بالإطراء؟

ابتسم ابتسامة مثيرة، وردّ: «طبعاً!».

أشاحت بنظرها بعيداً، كي لا تعود إلى ذراعيه بسبب هذه الابتسامة المثيرة القاتلة.

- أظنني سأستحم.

- أتريدين بعض الرفقة؟

هزت رأسها نفياً:

- المغطس صغير جداً.

شعرت بموجة دافئة من الرضى تجتاحها، لكنها سرعان ما ذكرت نفسها بأن كلامه ليس ناجماً عن مشاعر حبّ تجاهها.

كان الحمام بارداً ولكن ما إن ملأت المغطس بالمياه الساخنة حتى امتلأ بالبخار وأصبح دافئاً. ولم تستطع منع نفسها من التفكير بلمسات كونور.

يجدر بها أن تكفّ عن التفكير به طيلة الوقت! أتراها تتوق إلى هذا الحدّ لأن يتهمّ بها أحدهم حتى تغضّ النظر عن سنوات قضاها في ملاحقة النساء والاكتفاء بكونه جعل منها زوجته؟ إنها تسلك الطريق الذي سيؤدي بها حتماً إلى الدمار.

كيف عساها تتجاهل سجله الحافل بالعلاقات الغرامية؟ إن فعلت هذا، سيرتد الأمر عليها في المستقبل، عندما يسأم منها ويذهب للبحث عن ملذاته خارج المنزل. أمّا فكرة إنجاب طفل في مثل هذا الجوّ غير المستقر، فهي منافية للمنطق وسوف تسبب مشاكل ليس إلاّ. مشاكل كتلك التي تراها يومياً في العيادة. أشخاص محطمون يسيرون في طريق الانحراف لإخفاء الألم الناجم عن علاقات سيئة ملؤها المرارة والندم.

لا! لن تسلك هذا الطريق أبداً. قالت هذا وأحنت رأسها تحت الماء.

١٠ - لا أريد سوى الحقيقة

عندما استيقظت صباحاً، وجدت ياسمين نفسها وحيدة في السرير. وسمعت الطيور في الخارج تغرّد بنشاط كبير، حسدتها ياسمين عليه.

فهي تشعر بالتعب، والنعاس، والسرور جرّاء النشاط الذي أصرّ عليه كونور كعلاج للأرق. لقد أعطى العلاج مفعوله معه، فبعد دقائق فقط استغرق في سبات عميق. أما هي، فاستغرقت وقتاً طويلاً لتنام. استلقت تنظر إلى ظلال الفجر وهي تتراقص على السقف، إلى أن استحالت تلك الظلال إلى شعاعات من خيوط الشمس الذهبية.

تنهد كونور واستدار، فأغمضت عينيها وراحت تتنشق رائحته وتتساءل كم مرة ستستيقظ صباحاً لتجده بقربها، قبل أن يسأم منها وينتقل إلى مغامرة أخرى.

قضيا الأيام القليلة التالية بالطريقة عينها تقريباً. تذهب ياسمين في نزهات طويلة على الشاطىء في حين يعمل كونور في المنزل. كان يوافيها من وقت إلى آخر في نهاية نزهتها، فيضع يده على كتفيها، ويخبرها بعض النكات، ويسرّ عندما يرسم ابتسامة على شفتيها.

كانت تستمتع بمشاهدته وهو يعمل. لقد تربّت في كنف والد يعتبر العمل في الأمور المنزلية أمراً دون مستواه، لذا شكلت رؤية كونور وهو يصعد السلالم ليصلح خدشاً في السقف أو في الجدار أمراً جديداً بالنسبة لياسمين. أحياناً كانت تناوله غرضاً من علبة العدة فتتلامس أصابعهما وهو في أعلى السلم، ويرسل لها بعينيه رسالة صامتة، فتشيح بنظرها بعيداً خشية أن يتمكّن من رؤية مدى توقها إليه.

أما في الليل، فكانا يتشاركان أحاسيس جياشة لم تعرف يوماً بأنها

قادرة عليها. أحاسيس ترسلها مراراً وتكراراً إلى عوالم بألوان كألوان قوس قزح.

جاء يوم الثلاثاء بسرعة، وجاء معه إدراكها بأن خلوته ستنتهي مع عودة كل منهما إلى مسؤولياته.

خيّم الصمت على رحلة العودة إلى المدينة، كأن بينهما اتفاق ضمني سري. جلست ياسمين تفكّر بعملها في العيادة، وتساءلت كيف ستتمكّن من أداء دورها كزوجة لكونور، فيما يتطلب عملها مساعدة المحتاجين كما اعتادت أن تفعل في السابق. فساعات العمل طويلة، تعود من بعدها إلى المنزل مرهقة جسدياً ونفسياً، وفكرت بأن عليها إجراء بعض التعديلات لتتوافق مع زواجها المفاجىء.

نظرت مرة أو اثنتين نحوه، وفكرت بأنه لا يبدي أي قلق حيال الترتيبات التي عليه القيام بها. قاد سيارته بثقة تامة على الطريق السريع والطرقات الداخلية. وأخيراً وصلا إلى منزله في «وولهارا»، وما إن توقفت السيارة حتى نزلت ياسمين منها، وذلك قبل أن يتمكّن من الاستدارة وفتح باب السيارة لها.

أخذ كونور الحقائب من الصندوق فيما توجهت إلى باب المنزل تفتحه بالمفتاح الذي سبق أن أعطاها إيّاه.

وقبل أن تتمكّن من استخدام المفتاح، فتحت ماريا، مدبرة المنزل الباب ورحبّت بها بلغتها الإنكليزية المتواضعة. فهمت ياسمين كلمتين أو أكثر، وتساءلت إن كانت المرأة تتحدث بالإيطالية.

جاء كونور وراءها وابتسم للمرأة العجوز، ثم راح يتحدث بلغتها، فاستدارت ياسمين تحدّق إليه. لاحظ تفاجأها فابتسم قائلاً: «تعلمت اللغة الإيطالية عندما عشت في صقلية لستة أشهر».

استدار نحو مدبرة المنزل وعرّفها إلى ياسمين. مدّت ياسمين يدها، فصافحتها المرأة الأخرى بتواضع، وقالت شيئاً بلغتها الأم.

استدارت ياسمين نحو كونور ليفسّر لها ما قالته ماريا.

- تتحدث ماريا الإنكليزية قليلاً، ولكن ببطء، ممّا يسبّب لها الإحراج. سأعلّمك بضع عبارات كي تتمكّني من التفاهم معها. والآن، اكتفي بهزّ رأسك والابتسام كما لو أنكِ فهمت ما الذي تقوله لكِ!

استدارت نحو مدبرة المنزل وابتسمت بخجل. قال كونور شيئاً بالإيطالية، فأضاء وجه ماريا وغادرت لتفعل ما طلبه منها.

نظرت ياسمين إليه وسألته: «ماذا قلت لها؟».

- قلت لها إنها يمكن أن تأخذ بقية اليوم عطلة.

- لماذا؟

- لأنني أريدكِ لي وحدي.

انقبضت معدتها ما إن اقترب منها وعانقها قبل أن تتمكّن من التفوه بكلمة. وبعد قليل ابتعد عنها قليلاً، ومن دون جهد، حملها إلى الطابق العلوي وفتح باب غرفة نومه.

وما هي إلا دقائق حتى كانا يهيمان معاً في عوالم سحرية مليئة بالسحر والروعة.

استلقى كونور يصغي إلى تنفس ياسمين، ويتساءل لِما استغرق وقتاً طويلاً ليدرك بأنه يحبّها. خدع نفسه عندما ظن بأنه يرغب بها تماماً كما يرغب بأية امرأة أخرى. ولكن، من عساه يخدع الآن؟ كان قلبها يخفق قرب قلبه، وجسدها ملتصق بجسده، أما رائحتها الأنثوية فأشبه بمخدر لحواسه. ارتجفت بين ذراعيه وقرّبت ذقنها من صدره بحثاً عن الدفء.

مرّر أصابعه في شعرها، وشعر برغبة بإيقاظها وإخبارها. لكنه عاد فتذكّر بأن ثمة أمور عليها معرفتها، وهو لا يريد أن يخبرها إياها بنفسه، ولكنه سيحرص على أن يكون بقربها لمواساتها.

عندما وصلت ياسمين إلى العيادة في صباح اليوم التالي، تفاجأت من الاهتمام المفاجىء الذي أظهره زملاؤها في العمل وبعض المرضى حول

زواجها. قضت معظم الصباح وهي تجيب عن الأسئلة بقدر ما تستطيع، ولكن بعد الظهر أوشكت على الصراخ.

لم يصعب عليها الادعاء بأنها مغرمة بكونور، لأنها كانت كذلك فعلاً. لكنها شعرت بالاحباط لتذكرها بأنه تزوج بها للحصول على ميراث تركته له والدته، لا بدافع حبّه لها.

لم يمضِ على وصولها إلى المنزل بضع دقائق عندما رنّ جرس الهاتف.

- ياسمين، أيتها الفتاة المحتالة!

إنها أختها سام. وتابعت سام قائلة: «عندما أخبرتني والدتي أنكِ وكونور تزوجتما لم أصدق الخبر!».

- حسناً، جاء الأمر بمثابة صدمة للجميع!

- ظننتك لا تحبينه؟

- لا أحبه... لم أكن أحبّه. ولكن الأمور اختلفت الآن.

ردّت سام مظهرة سرورها: «هكذا هو حال الحبّ. فأنا أيضاً لم أحبّ فين عندما التقيته، ولكن ما إن عانقني للمرة الأولى حتى همت بحبّه، هذا هو الحبّ...».

قاطعت ياسمين حماسة أختها، فسألتها: «كيف كان شهر العسل؟».

- رائع، هذا ما كنت أحلم به.

- يا لحظك الجيد!

- أظن بأن كونور لم يكن يملك ما يكفي من الوقت ليحضّر لشهر عسل.

- لا.

- إنه شاب رائع يا ياسمين، أنا واثقة من أنك ستسعدين معه.

- نعم.

- هل مازلت غاضبة من أمي وأبي؟

- ولِمَ عساي أغضب؟

- سمعت أنهما أصرّا عليكما لتتزوجا، نظراً لأنك كنت في سريره.

- آه نعم.

- أظن بأن ما جرى رومنسي للغاية، أليس كذلك؟ الأهل الغاضبون يصرّون على أن يتزوج الرجل المسكين من المرأة الشريفة... تماماً كما في قصص العصر الفيكتوري.

- نعم، كان الأمر رومنسياً للغاية.

- لا تعيري اهتماماً كبيراً لما يقوله أبي وأمي عنه. فهو لا يتحلى بالصفات التي ألصقت به إن كنت تفهمين ما أعني!

- أفهم تماماً ما تعنين!

- كنت واثقة من هذا. كونور لم يعش حياة هانئة بسبب وفاة أمه وهو في سن مبكرة، وذلك بعد أن فقد والده. لقد تُرك معدماً واضطرّ للاعتماد على جدته جوليان وهاريت إلى أن تمكّن من جمع ثروته بنفسه، وقد فعل هذا بطريقة رائعة، وبات غنياً للغاية.

عبست ياسمين وهي تستمع إلى كلام أختها، وقالت: «ظننت بأن والدته تركت له ميراثاً!»

- لا، أخبرني فين حقيقة الأمر مؤخراً. فقد سمع والديه يتحدثان بالأمر. على أي حال حتى لو كان هناك من مال، فلا بد أن هاريت قد أنفقته. هل رأيت الثوب الذي ارتدته يوم زفافي؟ أخبرني فين أنه كلّف ثروة طائلة! لم أصدّق عندما أخبرني كم دفعتْ من المال ثمنه.

احتاجت ياسمين إلى بعض الوقت للتفكير. فقالت: «سام عليّ أن أقفل الخط، تركت شيئاً على النار».

- حسناً، اتصلي بي قريباً، أريد ان أريك صور الزفاف. ثمة صورة رائعة لك تنظرين فيها بغضب نحو كونور في حفل الاستقبال. سيكون من الرائع أن تريانها لأولادكما في المستقبل.

وضعت ياسمين سماعة الهاتف وجلست على أقرب مقعد ويداها ترتجفان.

لقد كذب عليها! قال لها بأن عليه أن يتزوّج للحصول على الميراث الذي تركته له أمّه، ليزجها في زواج خال من الحب. كيف أمكنها أن تصدق ادعاءه؟ رغبت في أن ترفس نفسها لشدّة شعورها بالغباء. لقد استغلّ الوضع بعد أن مارس عليها والداها بعض الضغوط، وحبك خطته حولها. شعرت بالغثيان عندما فكّرت كم كان من السهل دفعها إلى القيام بما أراده، لا بد أنه يضحك منها الآن. ما كان بوسعه اختيار ضحية أفضل... هل سيجد أفضل من امرأة شابة، ذات سمعة سيئة، وابنة مطران دمّرت حياة رجل شاب؟ لقد كانت هدفاً سهلاً للغاية، والأسوأ من هذا كلّه هو أنها وقعت في حبّه، حتى إنها سمحت له بإقامة علاقة زوجية معها، وملء رأسها بأحلام تافهة حول العيش بسعادة تامة.

وضع كونور المفتاح في القفل وهو يحمل حقيبته في اليد الأخرى. كان يشعر بصداع أليم، زاد حدّة مع تقدّم النهار. لقد قابل زوج والدته هذا الصباح لمناقشة كيفية الحصول على الميراث، وسلّم جوليان وثيقة زواجه بكبرياء. أما زوج والدته فأزاح الوثيقة من دون اهتمام بيد واحدة.

نظر جوليان إليه وقال: «أنت لا تعتقد حقاً بأن المال الذي تركته لك أمك مازال موجوداً، أليس كذلك؟».

تجمّد كونور في مكانه. وقال: «لقد تركته لي وجئت أستعيده».

راح جوليان ينظر إلى الأوراق المبعثرة أمامه، وهي طريقته المعهودة في التصرّف عندما لا يرتاح للحديث.

- أنا واثق من أنني لست مضطراً لتذكيرك بما تتطلبه تربية طفل من مصاريف. وبما أنك طردت من مدارس عديدة، اضطررنا للدفع للأكاديمية، ووجب علينا إحضار المال من مكان ما.

قطّب كونور جبينه: «أتعني بأنه لم يبق منه شيء؟».

- كانت والدتك تريدك أن تتعلّم جيداً. شعرت بأنني أدين لها بهذا، بالرغم من إصرارك الدائم على تخريب كل فرصة أتيحت أمامك.

غادر كونور مكتب زوج والدته وهو يستشيط غيظاً. لم يصدّق التفسير الذي قدّمه له جوليان، ولكنه لو قاضاه فسيخسر القضية حتماً. لذا ما من حلّ أمامه سوى الرضوخ للأمر الواقع، واعتبار ما جرى درساً قاسياً من دروس الحياة.

لكن المشكلة القائمة الآن هي أن الذريعة الأساسية لزواجه من ياسمين قد تلاشت، وإذا ما عرف ذلك...

أغلق الباب خلفه، ووضع مفاتيحه على طاولة الردهة، ثمّ مرّر يده في شعره وضغط على صدغيه لكثرة ما يشعر بالألم.

قالت ياسمين ببرودة وهي تخرج من باب غرفة الجلوس: «أكان يومك جيداً في المكتب؟».

- مرحباً ياسمين، لن تصدّقي ما مررت به من مصاعب هذا اليوم.

خلع معطفه ووضعه على المقعد وهو يشعر بالكثير من الألم.

- أنا واثقة من هذا.

نظر إليها متسائلاً: «هل كل شيء على ما يرام؟».

- وما الذي يمكن أن يسوء؟

وضع يده على عينيه وتنهد: «أعاني من صداع قاتل».

- يالك من مسكين!

نظر إليها لأنه شعر بأنها لا تعني ما تقول. سألها بعد برهة من الصمت: «هل أزعجك أحدهم؟».

- ومن عساه يفعل شيئاً كهذا؟

- لا أدري، أهلك على سبيل المثال؟

- لم أتحدث إلى أهلي منذ حفل الزفاف.

- إلى من تحدثت إذن؟

- لا أحد يهمك أمره.

أرخى ربطة عنقه، ثم قال: «لست واثقاً من هذا. لِمَ لا تخبريني وتدعيني أحكم بنفسي؟».

- تحدثت إلى أختي.

- سام؟

أومأت موافقة.

- اتصل بي فين أيضاً، يبدو أنهما يستمتعان كثيراً!.

قال ذلك وهو يتجه نحو المطبخ. وقفت صامتة تراقبه يتناول كوباً من الخزانة ويملؤه بالماء، ثم تناول حبتي مسكن من العلبة وابتلعهما قائلاً: «يا إلهي! أشعر وكأن ورشة عمل تدور في رأسي».

- لقد انفطر قلبي لهذا الخبر!

عبس كونور، واستند إلى المنضدة وراح ينظر إليها عن كثب، ثم عاد يسألها: «لا أريد تكرار نفسي، ولكن هل أنتِ بخير؟».

رفعت ذقنها إلى الأعلى، وقالت: «تبدو مصمّماً على هذا السؤال، لماذا يا كونور، هل يعذبك ضميرك؟».

أشاح بنظره عنها وهو يضع كوب الماء جانباً.

- لا أعرف تماماً ما الذي تقصدينه، ولكنني واثق من أنكِ ستزودينني بالمعلومات الوافية.

سألته غاضبة: «لِمَ كذبت عليّ؟».

- بأي شأن؟

تراجع إلى الخلف. ولاحظت ياسمين بعض القلق في عينيه.

- بشأن أمور عديدة، وأهمّها حقيقة أمورك المالية.

ساد صمت ثقيل، قطعته ياسمين بقولها: «لقد كذبت عليّ بشأن الميراث الذي تركته لك أمك، أليس كذلك؟».

لم يجب إلاّ أنها رأت مشاعر الذنب بادية في عينيه.

- أخبرتني أنك تحتاج للزواج كي تتمكّن من الحصول على الميراث الذي تركته لك أمك.

- أعرف ما الذي قلته.

- ما من إرث، أليس كذلك يا كونور؟

- لم يعد هناك من إرث.

- لم يكن هناك أبداً. لقد كذبت عليّ لتدفعني إلى فعل ما تريده. وجب عليّ أن أعرف ذلك منذ البداية... ولكنني كنت غبية.

- ياسمين أنت تستنتجين أموراً ستندمين عليها حتماً عندما أشرح لك...

- لا أريد سماع شرحك أو أكاذيبك! لا أريد سوى الحقيقة، ولكنك عاجز عن قولها، أليس كذلك؟ فأنت عاجز عن قول الحقيقة حتى وإن كانت حياتك على المحك!

ضرب كونور بيده على الطاولة: «بحق السماء! هلاّ سمحت لي بإخبارك عمّا جرى؟».

- أتظنني أهتمّ للاستماع إلى القصة التي اختلقتها وتدربت عليها؟

- لم أتدرّب على شيء. أردت إخبارك في النهاية، ولكنني عرفت الحقيقة منذ...

- في النهاية.. وجب عليك إخباري قبل أن أوقع اسمي على وثيقة الزواج.

شعر كونور أنه يحتاج إلى بعض الوقت لجلاء أفكاره. عرف بأن

غضبها مبرّر، لكنه أراد أن يكون في وضع ذهني أفضل، كي يتمكّن من شرح الأمور لها.

جمع كبرياءه بجهد ونظر إليها: «ما هذا؟ أعود إلى المنزل وأنا أعاني صداعاً أليماً لكي أحظى بهذا الاستقبال!».

- ما كان عليك أن تأتي. وجب عليك الذهاب إلى أحضان عشيقتك الأخيرة، عوضاً عن المجيء إلى هنا!

لمعت عيناه غيظاً، وردّ بصوت أجش وقاس: «حسناً، هذا تماماً ما سأفعله!».

١١ - امرأة من كوكب آخر

حدّقت ياسمين إليه وهو يغادر المطبخ، ويغلق الباب خلفه بقوة. إن كان الاعتراف هو ما تبحث عنه فقد وجدته. لأنها لم ترَ في حياتها شخصاً يظهر بمظهر المذنب كما فعل كونور لتوّه.

لم يعد إلى المنزل تلك الليلة ولا الليلة التالية أما ياسمين فاستمرّت بالعيش كما لو أن شيئاً لم يكن، وذلك للحفاظ على ماء الوجه، بالرغم من نظرات ماريا القلقة والمرتابة.

كانت تقضي نهارها في العيادة، فتعمل نوبتين متتاليتين كي لا تضطر إلى العودة باكراً إلى المنزل، والبقاء وحيدة. ولطالما عذّبتها أفكارها وهي تتخيله مع امرأة أخرى شقراء، طويلة القامة، ساحرة...

في مساء اليوم الثالث، شعرت أنها لم تعد تستطيع الاحتمال. اتصلت بالعيادة، وأخبرتهم أنها بحاجة إلى إجازة. وضبت حقيبتها بسرعة ونزلت إلى المرآب حيث يركن كونور سيارته الثانية.

كانت الطريق نحو الساحل الجنوبي مزدحمة بسبب وقوع حادث سير. راحت ياسمين تطرق على المقود بعصبية وهي تنتظر فتح الطريق.

بدا المنزل القديم بارداً ومظلماً، وبدت شرفاته العريضة كعينين تراقبان المارة.

فتحت الباب، وبعد أن أدخلت أغراضها القليلة أغلقته خلفها، وراحت تتنشّق رائحة الصمت.

www.elromancia.com

أدارت ضوءاً خافتاً، وأشعلت النار في المدفأة التي كان كونور قد هيّأها مسبقاً، وانتظرت ريثما تدب الحرارة في جسمها.

صعب عليها الجلوس بالقرب من المدفأة من دون أن تفكّر به. أوشكت أن تشعر بلمساته، وبدفء أصابعه، وبملمس ذقنه وهي بين ذراعيه. تنهدت وهي تقترب من النار. عليها أن تتعلّم كيف تعيش من دونه.

في اليوم التالي، استيقظت محبطة على صوت عصافير الفجر. كانت الشمس الباهتة تجسّد حالتها النفسية، ولم يساعد ذلك في رفع معنوياتها. أما المنزل القديم فبدا وكأنه يلاحقها في كل خطوة تخطوها، وكأنه يسألها عن كونور.

في النهاية، استسلمت وذهبت في نزهة طويلة على الشاطىء، وبدأت تسير بتثاقل على الرمل الثقيل. كانت الأمواج ترتطم بالشاطىء والهواء المنعش يرسل رذاذ البحر إلى وجهها، أما صوت الطيور فبعث الأسى إلى قلبها الفارغ الحزين.

عندما عادت إلى المنزل، تناولت من دون شهية بعض الطعام الذي أحضرته معها. كلّ ما حولها كان يذكرّها بكونور، ورأت ابتسامته في انعكاس النافذة، وتذوّقت عناقه مع نسيم بعد الظهر، وشعرت بحضوره على السرير الكبير عندما استلقت وحاولت إرغام نفسها على النوم. إنه في كل مكان، وهي تعجز عن الهرب منه لأنها أحضرته معها في قلبها.

عند منتصف الليل تقريباً أيقظها شيء ما. ظنت أولاً أنه حيوان ما، ولكن عندما استقامت في السرير لم تسمع شيئاً سوى حفيف أوراق الأشجار. راحت تنظر إلى ظلال نور القمر تتراقص على سقف الغرفة. وعندما فقدت الأمل في معاودة النوم، أزاحت الغطاء عنها، ولفّت نفسها بالرداء الذي كان كونور يرتديه، ثم شقت طريقها إلى المكتبة المظلمة لتجد شيئاً ما تطالعه، علّها تنسى أحزانها وهمومها.

أصدرت أرضية المكتبة صوتاً عندما دخلتها. أضاءت ياسمين المصباح وشعرت بأن رفوف الكتب تراقبها لتعرف من الذي ينتهك حرمة المكتب.

تناولت الكتاب الأقرب إليها، فإذا به كتاب مقدس غلافه مطلي بالذهب. سحبت كرسياً، وجلست عليها واضعة الكتاب المقدس في حضنها، وبدأت تقلّب صفحاته الصفراء بحذر.

وقعت صورة منه أرضاً وهي تنتقل من سفر البدء إلى سفر الخروج، فانحنت والتقطتها، وما لبثت أن تجمدت في مكانها. إنها صورة لها!

وقع الكتاب المقدس أرضاً ما إن ارتخت رجلاها. وراحت تحدّق إلى الصورة وهي ترتجف.

كانت تعرف الصورة جيداً. إنها صورتها الموضوعة في الألبوم الذي قدّمته لها والدتها لمناسبة عيدها العاشر. كانت تبلغ بضعة أشهر من العمر فقط في هذه الصورة، وهي تستلقي على غطاء من القماش في حديقة لم تتعرف إليها. بدا خدّاها متوردين زهريان وفمها من دون أسنان، وهي تبتسم بفرح.

كيف يعقل أن تجد هذه الصورة بين صفحات هذا الكتاب المقدّس بشكل خاص؟ اجتاح وابل من الأسئلة رأسها، ولم تستطع الإجابة على أي منها.

تناولت الكتاب المقدس وراحت تتصفّح بقية الصفحات. وجدت صورة أخرى لها موضوعة في سفر من الأسفار. هذه المرة كانت أكبر سناً، تبلغ من العمر سنة أو ما يقاربها، وهي في حديقة منزلها.

وجدت صورة أخرى لها، وواحدة التقطت لها في المدرسة، وأخرى في حفل تثبيتها وضعت في قسم العهد الجديد.

وضعت الكتاب المقدس جانباً، وراحت تنظر إلى الصور ويداها ترتجفان، وفي ذهنها تضجّ المئات من الأسئلة.

بعد مرور فترة من الزمن، بدت لها ساعات، وقفت ياسمين بعد أن وضعت الصور على الطاولة. حدّقت إلى رفوف الكتب قبل أن تبدأ بسحبها عشوائياً، وهي تبحث في صفحات كلّ مجلّد.

وجدت خصلة شعر كستنائي في كتاب شارلز ديكنز «آمال عظيمة». حدّقت إلى الخصلة لدقائق طويلة، ورأسها يدور في كلّ اتجاه، عاجز عن فهم ما يجري.

وضعت خصلة الشعر جانباً ونظرت إلى الرفوف العلوية حيث وضعت بقية الكتب. رأت كتاباً واحداً لا يحمل كتابة ذهبية. مدت يدها نحوه بأصابع مرتجفة، وعرفت بأنه دفتر يوميات. جلست على المقعد المليء بالغبار، أخذت نفساً عميقاً، ثم فتحت الدفتر.

لاحظت أن الكاتب توجه في كلامه إلى الله: «لقد رأيتها اليوم. جاءت إلى المنزل في طريقها إلى الشاطىء. أردت أن أناديها، ولكن كما تعرف، لقد تخليت عن هذا الحق منذ وقت طويل.

«على الأقلّ أنا أملك الصور. إنها تشبهني كثيراً، وهذا نوع من العدالة!».

«يستحسن بك أن تسهر عليها في غيابي! فهي مدعاة فخري الوحيد في الحياة. الشيء الوحيد الذي أحسنت صنعه. وددت كثيراً لو أحتفظ بها، ولكنهم قالوا لي بأنك لن توافق على هذا».

«أما أنا، فلست واثقة من هذا...».

جلست ياسمين في صمت المنزل القديم، تتصفّح الدفتر وعيناها تجولان على مختلف المقاطع علّها تعرف هوية الكاتب. ولكن عبثاً حاولت. لم يكن دفتر اليوميات يحمل اسماً سوى «التلميذ» يشير به الكاتب إلى نفسه.

عرفت أنها لن تستطيع الانتظار أكثر! عليها إخراج الشك الذي يتآكلها! عليها أن تعرف الحقيقة، بالرغم من وثوقها بأنها ستكون مؤلمة.

أدركت أن عليها زيارة والديها، وسؤالهما عن الشخص الذي كان يراقبها من بعيد، ويكتب تفاصيل عنها في دفتر يوميات غامض. فمن سواهما قادر على الإجابة؟

بعد أن عقدت العزم على هذا، وضعت الصور ودفتر اليوميات تحت وسادتها وأجبرت نفسها على النوم.

قصدت منزل والديها في صباح اليوم التالي. فتحت لها أمها الباب وشعرها ملفوف إلى الخلف كما تبقيه عادة عند خلودها إلى النوم.

- ياسمين!

وضعت الأم يدها على شعرها وأدركت ياسمين بأنها متوترة.

- مرحباً يا أمي!

- عزيزتي، لست مجبرة على قرع الباب. لمجرّد أنك تزوجت لا يعني أنك لم تعودي ابنتنا!

لم تكن ياسمين لتتوقّع بداية حديث أفضل، فقالت: «ولكنني لست ابنتكما، أليس كذلك؟».

- أجهل ما تقصدين... يا عزيزتي. هل... كل شيء على ما يرام بينكِ وبين كونور؟».

- لم أحضر لأناقش موضوع... كونور، بل جئت أناقشك حول هذه.

وقدّمت إلى أمها الصور واحتفظت بدفتر اليوميات في حقيبتها.

تناولت فرانسيس الصور بيد مرتجفة. راقبتها ياسمين وهي تقلّب الصور بين يديها، وملامح وجهها تتغيّر.

ساد صمت مطبق. وبعد لحظات طويلة، ناولتها والدتها الصور وهي تتجنّب النظر إلى عينيها.

قالت وهي تزيل الغبار عن يديها: «أجهل تماماً أين وجدت هذه الصور!».

- أحقاً؟

شعرت فرانسيس بالارتباك فقالت: «عزيزتي، سيحزن والدك لأنه لم يرك. وأنا أستعدّ للذهاب إلى الكنيسة و...».

قاطعتها ياسمين: «أريد معرفة الحقيقة، الحقيقة كاملة».

- عزيزتي، لست واثقة من قدرتي على الكلام معكِ وأنتِ في هذا المزاج العكر.

- لن أرحل من هنا قبل أن أعرف الحقيقة. وإن لم تخبريني الآن، فسوف أضطر للذهاب إلى المجمع، والتحدث مع أبي هناك!

صاحت الأم يائسة: «آه! يا إلهي! إياكِ أن تفعلي هذا!».

- ولِمَ لا؟ إنه والدي، أليس كذلك؟ بالطبع أستطيع استدعاءه من اجتماعه لأتحدّث معه.

- دعي الأمر لي يا فرانسيس.

سمع صوت إلياس يأتي من وراء ياسمين، فاستدارت لتجد والدها يقف عند الباب.

- آمل أنك تملكين تفسيراً منطقياً لمجيئك إلى هنا وإزعاج والدتك بهذه الطريقة.

- أريد معرفة الحقيقة، فأنت تدين لي بهذا!

- لقد علّمناكِ الحقيقة منذ كنت طفلة، ولكنك كنت ترفضينها وتتمرّدين عليها.

- ليس هذا النوع من الحقيقة! لِم تَصر على وعظي باستمرار؟

قالت ذلك وانهمرت الدموع من عينيها.

- أنت فتاة تهوى التحدي. لقد بذلنا كل ما بوسعنا للتخفيف من حدّة طباعك، ولكنك رفضت الانصياع.

ردّت ياسمين ببرودة: «لم آتِ إلى هنا كي أسمع عظاتك، بل كي تخبرني كيف وصلت صورتي إلى كتاب مقدس موضوع في منزل قديم،

قرب الكوخ في «بيليكان هاد».

تبادل والداها النظرات.

علا الشحوب وجه إلياس، ومرّرت أمها يدها في شعرها بتوتر.

أضافت ياسمين بحزم: «لن أغادر قبل أن أعرف الحقيقة!».

بعد فترة من الصمت توصل والدها إلى قرار ما. استقام ونظر إليها برباطة جأشه المعهودة.

- حسناً، سأخبرك الحقيقة. ولكن عليكِ أن تعديني بألاّ يعرف أحد سوانا بها.

مرّر يده في شعره بتوتر، وتجاهل احتجاج فرانسيس، ثم قال: «صحيح أنكِ لست ابنتنا الطبيعية. لقد تبنيناكِ أنا ووالدتك عندما كان عمرك ستة أسابيع».

حدّقت ياسمين إليهما.

- كنا ننوي إخبارك بالأمر ولكن عندما ولدت سامانثا بعد بضعة أشهر، بدوتما شبيهتين للغاية. ورأينا أن من الأفضل الحفاظ على السرية. بالطبع أصبحتن الآن راشدات وبدأت الاختلافات تظهر بينكنّ جلية. ولكن...

قالت ياسمين بمرارة: «آسفة لأنني لم أكن كما تمنيتما».

قطب والدها جبينه قائلاً: «يعدّ تسرّعك في الكلام قبل التفكير واحد من أهم اختلافاتك. وهذا ما سبّب المشاكل لأمك، لذا عرضنا أن نتبنّاكِ».

- من هي أمي؟

- أمك توفيت.

شعرت ياسمين بألم حاد يعصر قلبها، وأصرّت قائلة: «مازلت أرغب بمعرفة هويتها».

تبادل فرانسيس وإلياس النظرات مجدداً.

- كانت والدتك فتاة متمردة وجدت نفسها حاملاً بكِ. تخلّت عنك، واختفت. وبعد ذلك عرفنا أنها توفيت.

شعرت ياسمين بدوار فظيع، إلاّ أنها تمالكت نفسها وتمكّنت من السؤال: «وماذا عن والدي؟ من هو؟».

- لا نعرف اسمه، رفضت والدتك إطلاعنا على اسمه.

حاولت استيعاب هذه المعلومات بصمت، فتابع إلياس: «أما فيما يختصّ بالصور، فأنا أجهل تماماً كيف وصلت إلى حيث وجدتها. لعلها صدفة من صدف الحياة!».

- أنت لا تتوقع مني أن أصدق مثل هذه المصادفة!

- لطالما أظهرت عدم الإيمان بالمعجزات. ولكنني أجهل تماماً كيف حصل أحدهم على هذه الصور، أتعرفين شيئاً عن هذا يا فرانسيس؟

هزت فرانسيس رأسها والدموع تترقرق في عينيها. عندها تناولت ياسمين دفتر اليوميات وناولتهما إيّاه.

عبس إلياس: «ما هذا؟».

- إنه دفتر يوميات.

قلّب بضع صفحات بأصابع مرتجفة وهو يسألها: «ولمن هو؟».

- أملت أن تستطيع إخباري بهذا.

ردّ لها إلياس الدفتر من دون أن ينظر إلى عينيها.

- أدرك كم شكّل هذا الأمر صدمة بالنسبة لك، ولكن عليكِ أن تصدّقي بأننا أبقينا تفاصيل ولادتك طيّ الكتمان بنوايا حسنة. لم يكن لكِ من مستقبل مع والدتك، فهي غير قابلة للإصلاح. لقد أويناكِ كابنة لنا. أمك، أعني فرانسيس، كانت قد فقدت جنينها وأصيبت بالاحباط. فكنت أنت حلاً مثالياً لتعاستنا، وجلبت لنا الكثير من السعادة في السنوات الأولى.

قالت فرانسيس وهي تحاول إخفاء اضطرابها: «عزيزتي، ما من

ضرورة ليعرف أحد بهذا. فستحزن أخواتك كثيراً إن عرفن بالأمر بعد هذا الوقت كله».

- وماذا عني؟ ألا يحق لي أن أستاء؟

- طبعاً، ولكنكِ تفهمين طبعاً صعوبة الأمر بالنسبة لي ولوالدك؟

- لا تدعيان نفسيكما والديّ! أنتما لستما والديّ!

- ياسمين، سيطري على نفسكِ. أنت امرأة متزوجة الآن ولست مراهقة. عودي إلى منزلك وإلى زوجك، وكوني ممتنة على الحياة التي حظيتِ بها، فهي أفضل بكثير من الحياة التي كنت لتحظين بها بجوار والدتك.

فتحت ياسمين باب المدخل، ثم أغلقته بعنف خلفها، ونزلت السلالم والدموع تنهمر غزيرة من عينيها. قادت السيارة بسرعة، وعرفت أن هذا الأمر سيزعج والدها.. لا، إلياس بايرن، والدها بالتبني، كما صحّحت لنفسها بمرارة.

قادت السيارة من دون تحديد وجهة معينة، وهي لا تدري إن كان عليها العودة إلى المنزل القديم أو إلى منزل كونور. راحت أسئلة كثيرة تضجّ في رأسها، وهي عاجزة عن إيجاد أجوبة لها. بل قل إنها عاجزة عن التفكير بطريقة سوية.

وفيما هي تسير عن غير هدى في سيارتها، تذكرت تعليق كونور عندما أراها مكتبة المنزل القديم للمرة الأولى، عندما قالت له بأن هذه الكتب القديمة لا تقدّر بثمن، فأجابها: «أنا واثق من أن واحداً أو اثنين منها ذات قيمة خاصة».

عضّت على شفتها وهي تحاول معرفة معنى كلماته. أتراه يعرف شيئاً؟ أتراه وجد الصور ودفتر اليوميات، أم أنه يعرف المالك السابق للمنزل؟ عليها أن تعرف، حتى لو اضطرت إلى مواجهته. عنى ذلك أن تواجهه مجدداً، بالرغم من عدم رغبتها بذلك الآن.

سيطر عليها فضولها، فاستدارت بالسيارة واتجهت نحو منزل كونور مصمّمة على حسم الأمر معه. عندما وصلت إلى المنزل، سُرّت لأنها وجدت سيارته في المرآب.

توجّهت إلى باب المدخل، وهي تردّد في رأسها ما تنوي قوله. وما إن حاولت فتح الباب حتى وجدته ينفتح أمامها، ووجدت كونور قبالتها.

- ياسمين، أريد أن أتكلّم معك.

مرّت قربه، ودخلت المنزل، وهي غير واثقة من رغبتها بمتابعة الحديث الذي دار بينهما في المرة الأخيرة، فثمة أمور أخرى تشغل بالها.

- أريد أن أعتذر.

استدارت تواجهه، فبدت ملامحه صادقة إلا أنها لم تعرف عمّا يعتذر. أتراه يعتذر عن عدم إخبارها الحقيقة بشأن إرث أمّه، أم عن خروجه العاصف من المنزل تلك الليلة؟

لحقت به إلى غرفة الجلوس، وتسمّرت في مكانها تنظر إليه وهو يمرّر يده في شعره.

- تخطيت حدودي تلك الليلة. كنت أعاني صداعاً أليماً للغاية، وعندما ذكرت مسألة ميراث أمي، فقدت أعصابي!.

- لِمَ كذبت عليّ بشأن إرث أمك؟

- عرفت منذ بضعة أيام فقط أن إرث والدتي لم يعد موجوداً.

لم تكن واثقة من رغبتها بتصديقه، ولكن شيئاً ما في نبرة صوته جعلها تدرك بأنه يواجه صعوبة في التحدث عن الموضوع، فلزمت الصمت.

- ولكن أريدكِ أن تعرفي بأنني حتى لو عرفت بذلك قبل الزواج، لبقيت على رغبتي بالزواج بكِ.

- لماذا؟ لماذا أردت الزواج بي؟ أنا لست فتاة مثالية للزواج.

- لست واثقاً من هذا، كما أنني لست الرجل المثالي، فأين المشكلة

في هذا؟

- المشكلة هي أنني لست من تظنّ!

- أعلم أنك لست المتمردة التي يصوّرها الناس!

نظرت للحظة إلى وجهه: «أنا لا أعني هذا، ما أقصد قوله هو أنني لست ابنة المطران».

حدّق إليها: «وابنة من أنتِ؟».

لم تستطع النظر إليه، بل ردّت بإرهاق: «لا أعرف، لا أعرف».

سمعت وقع خطواته وهو يسير في الغرفة.

- أأفهم من كلامك بأن إلياس وفرانسيس لم يوضحا لك؟

شعرت بالامتنان لأنه لم يسمّهما «والديها».

- لا، لم ينوّراني!

- وهل تعرف سام، وكايتلين، وبيانكا بهذا؟

هزت رأسها نفياً وهي عاجزة عن الكلام.

قال مجدداً: «فهمت».

تساءلت كيف عساه يعرف ما الذي تمرّ به. وجدت نفسها تعترف: «أجهل ما عليّ فعله! لطالما اشتبهت بأن هناك شيئاً ما غير سوّي في العائلة. ولكني لم أتمكّن يوماً من تحديده».

- وجب عليهما إخبارك.

عضّت على شفتها وهي تفكّر بالمعضلة التي عاشها والداها.

- فعلا ما ظنّاه مناسباً، أفهم هذا الآن.

- أنتِ لطيفة للغاية!

- لن تقول هذا إن سمعت ما قلته لهما منذ بضع ساعات.

- كان الأمر صدمة بالنسبة إليكِ، أفهم هذا تماماً!

جلست على الأريكة وتنهدت: «أشعر وكأنني كائن من كوكب آخر».

- بشرتك ليست خضراء، لذا عليكِ أن تتعزّي بهذا!

www.elromancia.com

ابتسمت رغماً عنها وقالت: «عرفت بأنك ستجد شيئاً مضحكاً في كلّ هذا».

- هذه ليست مسألة مثيرة للضحك!

- لا، ليست كذلك!

- وماذا ستفعلين؟

عبست: «ما عليّ فعله؟».

شبك كونور ذراعيه حول صدره واستند إلى خزانة التحف: «أولاً، يمكنكِ الذهاب والتحدّث إلى روي هولدن».

حدّقت ياسمين إليه باستغراب: «روي هولدن؟ لماذا؟ ما دخله بكلّ هذا؟».

نظر إليها مباشرة، وقال: «روي هولدن هو والدكِ».

١٢ - أحببتك دوماً ولكن...

شعرت ياسمين بأنه سيغمى عليها. راحت الغرفة تدور تحت ناظريها، وأمسكت بحافة الأريكة لتستعيد توازنها. وقف كونور يراقب ردّة فعلها على الخبر الذي نقله إليها لتوّه.

- والدي... والدي؟

أومأ كونور إيجاباً.

- كيف عرفت؟ كيف عرفت هذا؟

- اكتشفت الأمر منذ بعض الوقت.

تنفست بصعوبة وأسندت ظهرها بتثاقل إلى الوراء.

- لا أصدّق. لا أصدّق ما يجري!

شعرت بكونور يقترب منها ويجلس قربها على الأريكة.

سألته بعد أن استدارت تواجهه: «هل يعرف هو بذلك».

- نعم، هو يعرف منذ البداية.

دفنت ياسمين رأسها في حضنها، وشعرت بلمسة يده الناعمة تلامس شعرها. واضطرّت لبذل جهد أكبر كي تمنع نفسها من البكاء.

- شعرت بشيء يربطني به عندما كان أستاذي، لابدّ أنني عرفت هذا بطريقة لا واعية.

- نعم، لابدّ أنك شعرت بشيء.

- هل تعرف هوية أمي؟

لم يرَ كونور فائدة من النكران.

www.elromancia.com

- نعم، أعرف.

ابتلعت ريقها بصعوبة، وقد تجمدّ الدم في عروقها.

- من؟

حدّق إليها: «كانت والدتك فانيسا بايرن، عمّتك».

فتحت ياسمين فمها غير مصدقة.

- عمتي؟

- يبدو أنها كانت متمرّدة عصت أوامر العائلة، فتبرأت العائلة منها. أصرّ شقيقها، وهو والدك بالتبني، على ألاّ تطأ عتبة المنزل مجدداً. وبعد أن حملت، خضعت للكثير من الضغوط العائلية، فقررت بعد ولادتك أن تهبك للتبني.

عبست ياسمين، وجلست تحاول استيعاب الأمور. وبعد صمت طويل، نظرت إليه بحزن وقالت: «وجدت بعض الصور، كانت في الكتاب المقدس في المنزل».

ومدّت يدها إلى حقيبة يدها وتناولت الصور. نظر كونور إلى الصور ثم وضعها جانباً. شعرت ياسمين بأنه سبق له ان رآها من قبل، فسألته: «لا تبدو متفاجئاً؟».

استدار يواجهها: «لست كذلك!».

- كنت تعرف بأن عمتي تعيش في ذلك المنزل، أليس كذلك؟

أومأ من دون أن يتكلّم.

- وجدت مفكرة أيضاً.

قالت هذا وناولته المفكرة. تصفّح المفكرة وابتسم عندما رأى خصلة الشعر الموضوعة داخلها.

سألته بعد برهة: «أتعرف من أعطى الصور وخصلة الشعر إلى عمتي؟».

- أملك فكرة عن الموضوع.

- ولكنك لن تخبرني بذلك.

عاد ونظر إليها والأسف بادٍ في عينيه.

- لا يحقّ لي إخبارك.

- كانت والدتي تراقبني. فخلال تلك السنوات كلها كانت بقربي من دون أن أعرف.

- نعم، كنتِ محقة في حدسك، وشعورك بأن أحدهم يراقبك من ذلك المنزل. فهي من كانت تراقبك كلّما أتيت إلى هنا، إذ تاقت أمك إلى نظرة من ابنتها التي أجبرت على التخلي عنها.

- أعجز عن التصديق، فالأمر غريب جداً.

- نعم، هذا صحيح.

- يا للغرابة! أتعرف أنني أيقنت لتوي بأنني لم أرَ يوماً صورة لأمي.

- لا يفاجئني هذا، فأنت صورة طبق الأصل عنها في صباها. وكان والديك ليعجزان عن تفسير هذا الشبه بينكما، لاسيّما أن أخواتك الثلاث متشابهات كثيراً. لاحظ روي هولدن الشبه منذ البداية، ولكنه افترض أنها مجرد صدفة، وبأن لكل إنسان شبيه في مكان آخر من هذا العالم. وبعد فترة من الزمن، عرف الحقيقة، لكنه عجز عن القيام بأي شيء. فقد كان متزوجاً وله ولد. كيف عساه يخبر عائلته عن ابنة لم يعرف بوجودها قط؟ فبعد الفضيحة، عجز عن تبرئة اسمه، فكم بالحري كشف حقيقة مرّت عليها سنوات طويلة.

حدّقت ياسمين إلى يديها وهي تتذكر كيف انفجرت الأمور في وجهها دفعة واحدة. تورّط أستاذها المفضل بفضيحة معها، في حين أنه والدها. وهو لم يرتكب أي خطأ سوى أنه استمع إلى فتاة وحيدة، مرتبكة، شعرت بالانجذاب نحوه بسبب طيبته الهادئة.

عندما فاجأتهما إحدى الموظفات في المدرسة زادت الأمور عن حدّها واتخذت منحىً آخر، إذ سارعت مساعدة المعلمة إلى إعلام المدير

www.elromancia.com

بأنها وجدت ياسمين بين أحضان روي هولدن. ولكن الحقيقة كانت مختلفة تماماً، إذا إنها بقيت بعد دوام المدرسة لتناقش فرضها معه، وبعد ذلك وجدت نفسها تخبره عن تعاستها بسبب خلاف حصل مع أهلها ذلك الصباح. أصغى إليها، وخفّف عنها وأمسك بيدها عندما بدأت تبكي.

وفجأة فتح الباب فابتعد كل منهما عن الآخر ولكن كان الأوان قد فات. انتشر الخبر في المدرسة برمتها خلال دقائق، ولاحظت ياسمين بيأس تفاقم الإشاعة، ممّا ترك آثاراً حادة عليها، ناهيك عن العظات التي ألقاها عليها والدها، والانهيار الذي عانت منه أمها.

تركت المدرسة وهي تشعر بالمهانة ولامت نفسها منذ ذلك الوقت على الأذى الكبير الذي ألحقته بمستقبل روي هولدن.

بعد قليل سألته: «هل تعرف زوجته بالأمر؟».

- لا، لم يستطع إخبارها قبل أن يسوّي الأمر معك ومع والديك بالتبني!

تنهدت ياسمين: «يا لكلّ هذه الأسرار!».

- ماذا ستفعلين؟

نظرت إليه نظرة فارغة: «أفعل؟».

- بما أنكِ عرفت الحقيقة، أصبحت تملكين بعض الخيارات.

- مثل ماذا؟

- مثل رؤية روي هولدن. كما يمكنك الإصرار على إلياس وفرانسيس ليعطيانك المزيد من المعلومات حول فانيسا.

- وماذا عن أخواتي؟

- وماذا عنهن؟ يفترض بهنّ معرفة الحقيقة أيضاً. لا أظن بأنهن سيتضرّرن منها، بل إن ذلك سوف يعطيهن درساً في الحياة.

- نعم، أعرف تماماً ما تعنيه!

- تبدين متعبة! عليك الخلود للنوم، فقد عرفت يوماً متعباً.

- نعم.

اخفضت نظرها.. مازال هناك الكثير من الأسئلة التي تودّ طرحها عليه، فهي تريد أن تعرف من أين له بكل هذه المعلومات عن عائلتها؟ كما وأنها تريد إخباره أموراً كثيرة، لكنها تجهل من أين تبدأ.

- سأنام في غرفة الضيوف للوقت الحالي.

- نعم، شكراً لك.

واستدارت.

- ياسمين؟

توقفت واستدارت تواجهه وقد فارقتها ثقتها بنفسها.

- أفهم بأن هذا صعب عليكِ، ولكن بقيت أمور علينا مناقشتها.

- مثل ماذا؟

- مستقبل زواجنا.

سألته: «أين كنت خلال الليالي الفائتة؟».

- نزلت عند صديق.

- صديق أم صديقة.

- صديقة، ولكن...

رمته بنظرة باردة.

- لا مستقبل لزواجنا يا كونور.

أظلمت عيناه وعلا العبوس وجهه، ثم قال: «فهمت».

- سأخلد إلى النوم.

واستدارت خشية أن يرى الدموع في عينيها، وقالت: «عمت مساء».

لم يرد عليها ولكنها شعرت بنظره منصباً عليها وهي تغادر الغرفة.

مرّ الأسبوع التالي كأنه دهر. عانت ياسمين خلاله الكثير من الصعوبات، لاسيّما عندما واجهت إلياس وفرانسيس مرة أخرى. طلبت رؤية صورة لأمها، وعندما رفضا، هدّدت بالتوجّه إلى الصحافة وإشهار

الحقيقة كاملة.

لم يكن إلياس يعرف إن كانت ياسمين تعني ما تقوله أم لا، فقال غاضباً وهو يقطّب جبينه: «وجب عليّ أن أعرف بأنكِ ستسببين لنا المشاكل، منذ اليوم الأول الذي أحضرناك فيه».

صاحت فرانسيس: «إلياس!».

نظر إلى زوجته بغير مبالاة قبل أن يستدير نحو ياسمين: «أنت تسلكين الدرب نفسه الذي سلكته أمك. فعلت كل ما بوسعي لأقنعها بما هو صواب، ولكنها أبت أن تصغي».

- إنها، على الأقلّ، لم تكن منافقة!

- أنت لا تعرفين شيئاً عمّا جعلتنا نمرّ به! والدايّ، أي جدّاك لم يتمكنا من تجاوز الأمر مطلقاً. لقد دمرّتهما بتصرفاتها الوقحة.

- إلياس أرجوك، لم تكن فانيسا سيئة إلى هذا الحدّ!

نظر إلى زوجته يحاول منعها من الكلام، إلاّ أنها تسمّرت في مكانها غير خائفة، وقالت: «كنت قاسياً جداً معها، صحيح أنها لم تكن ملاكاً، ولكنها لم تكن أيضاً الشيطان كما جعلتها تبدو».

اتهمها إلياس: «أنت أرسلت لها الصور، أليس كذلك؟».

ردّت فرانسيس بكبرياء: «نعم، كان يحق لها أن ترى ابنتها، ولا يحقّ لك حرمانها من هذا الحقّ. كما أنني تدبرت لها أمر المكوث في المنزل القديم، كي تكون قريبة من ياسمين كلّما ذهبت إلى الكوخ».

قال إلياس غير مصدّق: «قمت بذلك من دون علمي، وعصيت أوامري بشكل متعمّد، وفسخت نذور الطاعة».

صاحت فرانسيس غاضبة: «بحق السماء يا إلياس! كان عليّ فعل شيء لأضمّد جراحها قبل وفاتها!».

ثم استدارت نحو ياسمين وقد لانت تعابيرها وقالت: «عزيزتي... لقد أحبّتك أمك كثيراً. أنا واثقة من هذا».

بالكاد تمكّنت ياسمين من رؤية تعابير وجه فرانسيس جرّاء الدموع المنهمرة بكثافة من عينيها.

- كانت تعاني من مرض نفسي لم تستطع التخلص منه. ظنّت أنك ستكونين أكثر استقراراً على المدى البعيد معنا.

خانتها دموعها وعجزت عن المتابعة. فأمسكت ياسمين بذراعها: «لا بأس، أنا أفهم».

قال إلياس بحزم: «إنها مشيئة الله! كل الأمور تسير بطريقة معينة ليعمّ الخير!».

صاحت فرانسيس: «بحق السماء يا إلياس! اصمت!».

لم تستطع ياسمين منع نفسها من الابتسام لرؤيتها ملامح الصدمة على وجه والدها. إنها المرة الأولى التي تصيح فيها والدتها. ولكنها لم ترد البقاء لسماع المزيد، فلديها أمور أفضل تقوم بها.

قالت: «عليّ أن أرحل الآن، عليّ التحدّث إلى كونور!».

غادرت بعد أن عانقتهما، وهي تعرف بأنها ستحتاج إلى أكثر من عناق لتزيل سوء التفاهم الذي جرى بينهما. لكن وبطريقة ما، شعرت كأن شيئاً في داخلها قد استقرّ جرّاء هذا العناق.

عندما عادت إلى منزل كونور لم تجد دليلاً يشير إلى تواجده هناك. حتى إنها فتحت باب الحمام لترى إن كان هناك مناشف رطبة على الأرض، لكنها لم تجد شيئاً. شعرت برغبة في البكاء، وتناولت منشفة نظيفة ورمتها أرضاً.

فكّرت بأن تسأل ماريا عن مكانه لكنها عادت فغيّرت رأيها. تجوّلت في المنزل لساعات، ثم خطر الأمر ببالها فجأة. تناولت مفاتيح السيارة الثانية، ومن دون أن تحزم حقيبتها، هرعت إلى المرآب.

لم تكن زحمة السير خانقة على الطريق السريع عندما انطلقت ياسمين. وصلت حوالى الساعة التاسعة إلى المنزل القديم، وركنت

سيارتها خلف سيارة كونور. رأت بعض الأضواء في الطابق السفلي، فشقت طريقها نحو باب المدخل وقلبها يخفق، وهي غير مدركة سبب مجيئها. كل ما تعرفه هو أنها تاقت لرؤيته.

لم يكن الباب مقفلاً. أغلقته وراءها بهدوء، واتجهت نحو أقرب غرفة رأت فيها ضوءاً خافتاً.

فتح الباب، ووقف كونور ينظر إليها عابساً: «ما الذي جاء بكِ إلى هنا في هذه الساعة المتأخرة يا ياسمين؟».

تجاوزته، ودخلت الغرفة محاولة عدم الانزعاج من استقباله البارد، ثم استدارت تواجهه: «جئت أتحدث إليك في مسألة ما. أظنك تدين لي بهذا».

- أحقاً؟

- نعم.

ظل واقفاً دون حراك، ولم تعرف ماذا تفعل لتحسّن مزاجه العكر، إلّا أنها تابعت تقول: «كيف عرفت بأن روي هولدن هو والدي؟».

مرّت لحظات من الصمت قبل أن يجيب: «أخبرتني بذلك أمك الحقيقية فانيسا».

حدّقت إليه قائلة: «هل التقيت... أمي؟».

- التقيتها منذ نحو ثلاث سنوات.

- أين؟

- كانت تقيم في منزل بيريل هوبر في الجبال الزرقاء.

شعرت ياسمين بأن رجليها عاجزتان عن حملها فتوجهت لتجلس على الأريكة.

تابع كونور الكلام قائلاً: «كنت أعاني من أوقات عصيبة يومها، بعد أن خرجت لتوي من علاقة أثرت بي كثيراً، وحطيت رحالي أمام عتبة منزل بيريل، كما سبق لي أن فعلت في مناسبات عديدة. التقيت فانيسا

هناك ورحنا نتحدّث. لا أذكر التفاصيل كلّها، ولكن أظنني ذكرت علاقة فين وسام. وما إن سمعت باسم پايرن حتى أخبرتني عن ماضيها، وعن تخليها عن ابنتها ولم أستغرق الكثير من الوقت لأعرف عن أية ابنة من بنات پايرن كانت تتحدّث».

- كان عليك إخباري.

- وكيف عساي أفعل هذا؟

- كيف عرفت بأن والدتي، أعني فرانسيس، هي من أرسل الصور؟

- فانيسا أخبرتني. كما أنها قالت لي بأن فرانسيس رتّبت أمر ذهابك إلى الكوخ في «باليكان هاد» كلّما رغبت بذلك.

تذكرت ياسمين عدد المرّات التي اتصلت فيها بصديقة والدتها، كي تطلب الإذن للذهاب إلى الكوخ. لم يُرفض طلبها مرة واحدة، بل كان الكوخ دائماً متوفراً لها. نظرت إليه مرتابة وسألت: «مازلت لا أفهم ما دورك في كلّ هذا؟».

- عندما التقيتك للمرة الأولى في حفل خطوبة فين وسام، لم أستطع منع نفسي من التحديق إليكِ. شعرت بالانجذاب نحوك بالرغم من أنك كنت تنظرين إليّ بانزعاج. كانت فانيسا قد توفيت منذ بضعة أشهر، وأظنني شعرت برغبة في التعرّف إليك من أجلها. ولكن خلال وقت قصير، أدركت بأن عليّ كسب قلبك. ثم استيقظنا في السرير نفسه معاً...

- فقررت عندها إجباري على الزواج بك!

رأى نظراتها القاسية، فقال مدافعاً عن نفسه: «لم تكن معرفتي بفانيسا، ولا مسألة إرث أمي، ما دفعني إلى الزواج بك».

- أحقاً؟ أستطيع تخيل السبب الذي دفعك للزواج بي إذن. لابدّ أنك استغربت كوني قضيت ليلة كاملة في سريرك من دون أن تلمسني، فهذا أمر جديد عليك!

www.elromancia.com

- كنتِ فعلاً أمراً جديداً عليّ!

انهمرت الدموع من عينيها: «كيف استطعت فعل هذا يا كونور؟ كيف استطعت تقييدي بكذبة من هذا النوع؟».

- وكيف عساي أخبرك بما أعرف؟ لا يحق لي فعل هذا.

حاربت دموعها بصعوبة، وقالت: «رحت تسألني عن عائلتي، وتشير إلى أوجه الاختلاف بيني وبينهم. لِمَ فعلت هذا مادمت لم تكن تنوي إخباري الحقيقة؟».

مرّر يده في شعره الأسود: «أوشكت على إخبارك الحقيقة مرات عديدة. لم يبدُ عادلاً ان تعذبي نفسك طيلة الوقت وتكرهي نفسك بسبب اختلافك عن بقية أفراد أسرتك. لكن، أظنني أملت بأن تتوصلي إلى معرفة الحقيقة بمفردك. ويدهشني أنك لم تفعلي هذا».

وجدت نفسها تعترف: «أظنني عرفت دائماً، لكنني لم أرد البوح بذلك».

- سُرّت فانيسا كثيراً لأنك رغبتِ بالعمل في عيادة لمعالجة الضعفاء والمنحرفين. كادت تطير من الفرح لمعرفتها بأنك تساعدين الناس على تخطي الصعوبات التي لم تستطع تخطيها يوماً. لم تكن فانيسا تملك المال لتساعد الآخرين، لأنها طردت من العائلة، ولكنها سُرّت لأنك اكتسبت بنفسك حساً اجتماعياً.

عبست كأنها تذكرت أمراً ما، وسألته: «وماذا عن المنزل القديم؟ ألم تكن تملكه؟».

- اشتريته منذ بضع سنوات من الشخص الذي كان يؤجره لها.

- فعدت وأجرته لها...

- لا.

- سمحت لها بالبقاء من دون مقابل؟

أشاح كونور بنظره بعيداً عن نظراتها، وقال مفسّراً: «كانت تحتاج إلى

الراحة، وأمنّتها لها. وجدت السعادة في «بيليكان هاد» ونوعاً من السلام أيضاً».

لم تعرف ياسمين كيف تتصرّف حيال هذه التطوّرات الأخيرة. صعب عليها أن تستوعب بأن كونور مرتبط بحياتها منذ سنوات من دون أن تدري.

اقترب كونور منها، وقال: «ياسمين، ثمة أمر آخر عليكِ معرفته».

حدّقت إليه وقد انقطعت أنفاسها، فيما تابع يقول: «المرأة التي قضيت معها الليالي الفائتة كانت بيريل العجوز. فأنا معتاد على الذهاب إلى هناك عندما تسوء الأمور قليلاً. حاولت إخبارك بهذا، ولكنني كنت قد اكتشفت للتو تلاعب زوج والدتي بميراثها ولم أكن أفكّر بطريقة سوية، لذا سمحت لكِ بأن تظني بي بالسوء. أنا آسف».

لم تستطع ياسمين الردّ من دون أن تبكي، فقرّرت التزام الصمت. بعدئذٍ تابع كونور: «عندما شاهدتك في حفل زفاف سام وفين شعرت بالصدمة. لم أستطع منع نفسي من التحديق بك طيلة الوقت. شعرت كما لو أنني كنت أبحث عنكِ طيلة حياتي. لقد صعقت للأمر، وخجلت من الاعتراف به، فأخفيت ردّة فعلي وراء جدار من السخرية، في حين أن كل ما كنت أشعر به هو مدى صوابية هذه العلاقة».

رفرفت ياسمين بأهدابها حائرة، أما هو فعاد يقول: «لقد وقعت في حبك عندما نظرت إلي للمرة الأولى في الكنيسة بانزعاج».

- هل نظرت إليك بانزعاج؟

ابتسم موافقاً: «نعم. وعندها قررت أنني سأتزوج بكِ مهما كلّف الأمر. عندما رأيتك في سريري تلك الليلة لم أعرف ما عليّ فعله. أعلم بأنه كان يفترض بي إيقاظك وإخبارك بأنك اقترفت غلطة، ولكن رؤيتك مستلقية هانئة في سريري، وشعرك الجميل منتشر على وسادتي... كان الأمر مغرياً جداً».

عجزت ياسمين عن تصديق ما تسمعه.

وأضاف كونور: «إلاّ أنني لم أستدع المصوّر، كما أنني كنت أجهل تماماً بأن والدك وزوج والدتي سيثيران مشكلة حول هذا الموضوع. ولكن عندما فعلا، بدا لي من الملائم إبعادك عن خط النار بزواجي بكِ. أملت أن تتعرفي إليّ أكثر، وتقعي في حبي. أعلم أن هذا احتمال بعيد، ولكنني كنت يائساً».

سألته: «هل تحاول قول.. ما أظنك تحاول قوله؟».

- ماذا تظنين بأنني أحاول أن أقول؟

- أظنك تحاول أن تقول ما أردتُ قوله منذ فترة طويلة.

استدار نحوها بعينيه السوداوين اللماعتين: «أحقاً؟ وماذا تريدين أن تقولي؟».

- أحبك.

قرّبها منه وضمّها إلى ذراعيه، وهو يخبىء وجهه في شعرها قائلاً: «لا أصدق بأنك قلتِ هذا».

ابتسمت ياسمين وغرقت في دف عناقه، وتمتمت: «وأنا لا أصدق بأنني قلته».

أبعدها عنه ونظر إليها بلهفة عارمة: «أتقصدين ما تقولينه؟».

- أقسم بالله.

عبس كونور، قائلاً: «ظننتكِ لا تؤمنين بالله!».

ابتسمت له مجدداً، ورفعت وجهها نحوه وقالت: «أظنني سأعيد التفكير في هذه المسألة».

عانقها بقوة وقال: «الحمد لله. أحبك يا ياسمين!».

الخاتمة

وضع كونور فرشاة الطلاء جانباً، واستدار ينظر إلى ياسمين وهي تصعد درجات المنزل القديم.

سألته مبتسمة: «هل انتهيت؟».

- نعم، وفي الوقت المناسب لأحملك فوق العتبة.

أزال الغبار عن يديه واتجه نحوها.

- ولكنني ثقيلة جداً.

- وعلى من يقع اللوم في هذا؟

قالت وهي تضع يدها على بطنها: «عليك أنت بالتأكيد!».

- كيف تشعرين؟

- أنا بخير. ولكني قلقة بشأن ليلة الغد.

طمأنها قائلاً: «لا تقلقي يا عزيزتي! طمأنني روي بأن زوجته تقبلت الأمر بطريقة جيدة، ولكنها تستصعب فكرة استعداده ليصبح جداً».

لقد حضّر كونور لإقامة عشاء وعيد الميلاد في «بيليكان هاد» مع فرانسيس وإلياس، وروي هولدن وزوجته ليان. تأثرت ياسمين بهذه المبادرة، وبالعناء الذي تكبّده لإصلاح الأمور بعد أشهر من العلاقات المتوترة.

- آمل فقط ألا يحضر هذا الطفل قبل أوانه.

وأنّت متألمة جرّاء ألم يراودها بتقطع منذ حوالى النصف ساعة.

ذكّرها: «لن تلدي قبل رأس السنة».

- أعلم، ولكن يملك الأولاد أحياناً آراء خاصة بهم، مختلفة عن آراء

الآخرين.

- تماماً، كما هي الحال مع أمهاتهم.

- وآبائهم أيضاً.

- نعم، ولكنكِ تحبينني من أجل هذا، أليس كذلك؟

- بل أنا أعشقك!

قالت هذا وعانقته بخفة، ثم تابعت: «بالرغم من أنك لا تزال تترك المناشف الرطبة على أرض الحمام».

- ما كنت لأفعل هذا، لو أنكِ لا تدخلين الحمام شبه عارية، ما يجعل أفكاري تتشتت.

- ولكنك تحبني لأجل هذا، أليس كذلك؟

قرّبها منه وقال: «بل أنا أعشقك، وأنت تعرفين هذا».

اقتربت ياسمين منه تتنشق رائحته الذكية، وتفكّر كيف غيّر حياتها بشكل جذري وملأها حبّاً ورضى. وفجأة، شعرت بانقباض قوي في بطنها، فصاحت: «كونور!».

- ماذا؟

- أتظن بأنهم سيستاؤون إن حضروا ولم يجدونا هنا؟

- ماذا تعنين بهذا؟ وأين سنكون؟

أمسكت بيده وجعلته يشعر بانقباض بطنها، فاتسعت عيناه: «أتعنين أن الوقت قد حان؟».

- أظن ذلك.

- الآن؟

أومأت إيجاباً، فصاح كونور مذعوراً: «وماذا عن عيد الميلاد؟ لقد اشتريت ديك الحبش!».

ضحكت ياسمين: «أظن بأن طفلك قرّر الاحتفال معنا شخصياً بعيد الميلاد».

قال وهو يأخذ مفاتيحه ويمسك بذراعها: «حسناً، هيا بنا! فلنذهب لنرى إن كان من مكان شاغر في الفندق».

- في الفندق؟

- وإن لم نجد مكاناً، سنبحث عن إسطبل! وعلينا البحث أيضاً عن ثلاثة رجال حكماء ونجمة لمّاعة.

لم تستطع ياسمين منع نفسها من الضحك، وقالت: «أنت تفتقر للاحترام أحياناً».

- أعلم هذا، ولكنني أحب رؤيتك تضحكين.

- لماذا؟

- لأن ضحكتك ترسم لي الجنة على الأرض.

قال هذا وعانقها.

وصل إلياس وفرانسيس إلى المنزل القديم في الوقت الذي كان روي هولدن وزوجته يركنان السيارة. توجّه الجميع إلى باب المدخل، وقرأوا الرسالة المدوّنة بعجلة.

«ولدت جينيفر فانيسا هاروسميث عشية عيد الميلاد في تمام الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر، وهي تزن ستة باوندات. الأم والطفلة بحالة جيدة، والوالد بقربهما. تفضلوا وتناولوا بعض المقبلات والعصير. اعتذروا لي من ديك الحبش، نسيت إخباره بأننا لن نحتاجه هذا العام!».

www.elromancia.com